الأنبياء والابتلاءات

وتأملات في حياة الأنبياء

د. محمد لبيب





بقلم

د. محمد لبيب سالم

٢٠٢١

اسم الكتاب: الأنبياء والابتلاءات

النوع: كتاب

تأليف: د. محمد لبيب سالم

إصدار: 2021

تصميم الغلاف: وحيد محمد

التصحيح اللغوي: حنان قابيل

الإخراج الفني: عبدالعليم منا

رقم الإيداع:

الترقيم الدولي I.S.B.N:





جمهورية مصر العربية – القاهرة

مدير النشر: د. محمد أبو زيد

+201142402108

kayankpuplishing@gmail.com



تأملات في حياة الأنبياء

"الأنبياء والابتلاءات"

د. محمد لبيب سالم





كلمة من القلب

"إذا أغضبتك الدنيا ونالت منك فلا تطاوعها وتغضب، ولكن احمد الله أن اختارك أنت للبلاء كما اختار رسله وأنبياءه لكل أنواع الابتلاءات، فالمحنة من الحبيب منحة والصبر عليها رزق ونعمة وفرحة"

د. محمد لبيب



كلمة الكاتب

في هذا الكتاب سوف أقدم أهم الابتلاءات التي تعرض لها عشرة من الرسل من سيدنا آدم عليه السلام حتى سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم. ومع أن كل الرسل والأنبياء تعرضوا لمختلف الابتلاءات إلا أني آثرت أن أقدم اولي العزم من الرسل وكذلك بعض من غير أولي العزم. وتشمل هذه الابتلاءات تلك التي تعرض لها بعض الرسل قبل الوحي وقبل اعلان النبوة.

وسوف نري من هذا السرد أن الأنبياء هم أكثر عباد الله عرضة للابتلاءات. وسوف نري كيف أنهم صبروا عليها حتى انكشفت الغمة وظهر حكم الله وانتشرت رسالته في الأرض وعلت كلمته في السماء.

ووجب التنويه أني لم أكتب هذه المقالات بقلم برجل دين ولكن بعقل رجل فكر عقل يتدبر في السير الذاتية للأنبياء ولكن من منظور رؤية شخصية لفهم القدرة على مواجهة الابتلاءات والصبر عليها. ولذلك فلم ألجأ إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية رغم إمكانية ذكرها في متن كل ابتلاء. ولكني آثرت أن تكون نظرتي لهذا الموضوع نظرة مختلفة خاصة وأني لست برجل دين يستطيع أن يربط الفكرة بالآية والتحليل بالحديث فأنا لست بمتخصص في هذا الأمر.

هذا وأتمني أن يكون ما قدمته قد ألقي اضاءة ولو بسيطة على مواقف شديدة الصعوبة كل واحدة منها كفيلة بأن تضع النبي تحت ضغط نفسي شديد. كما أرجوا أن أكون قد التزمت بالمنهاج الذي وضعته لنفسي وهو التأمل والتدبر ثم عرض الخلاصة بأسلوب فكري محض ولكنه مليء بالإيمان بالله وبرسوله ايمانا مطلقا.

والله ولي التوفيق ...

د. محمد لبيب



مقدمة

من أشد المواقف صعوبة على النفس وقوعها تحت ضغط نفسي شديد. وكثيرا ما يشتكي الإنسان العادي من الضغوط النفسية التي تهز كيانه وتجعله أحيانا يترنح بسبب بعض ما أصابه من ضغط نفسي علي المستوي الشخصي أو بالأكثر علي المستوي العائلي المحيط .

ولم يخلو أحد من عباد الله في مرحلة ما في حياته من ابتلاء صغُر أو كَبُر، سواء في ماله أو أهله أو صحته. والقدرة على تحمل الابتلاء هي ترمومتر الإيمان بالله. والابتلاء قد يكون من الله ليختبر عبده الذي يحبه. وفي كلا الحالتين يكون انتصار العبد علي محنة الابتلاء هي المنحة الكبري من الله سبحانه وتعالي. وكلما كانت المحنة أشد كانت المنحة أكبر وأعظم .

وأن يبتلي الله عبدا في ماله من بعد غني لهو أمر عصيب، وأن يبتليه في أهله وأولاده دفعة واحدة لهو أمر أصعب، وأن يبتليه في صحته حتى يصير قعيدا لهو عين الابتلاء، أما أن يبتليه في ماله وأولاده وصحته فهو أشد الابتلاءات التي قد لا يتحملها حتى العبد المؤمن وإن استطاع أن يتحملها فبشق الأنفس. أما أن يبتلي الله عبدا من عباده في المال والأهل والصحة وفي وقت واحد فهو من شد الابتلاءات التي قد تصيب صاحبها ليس فقط بالاكتتاب والهم والحزن والمرض الجسدي والنفسي، بل قد يمتد الأمر إلى أن يفقد العبد الثقة في ربه وفي ايمانه والعياذ بالله .



ولم تخلو أمة من نبي أو رسول منذ سيدنا آدم حتى خاتم المرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكي السلام. وما نعرفه من أنبياء ورسل هم خمسة وعشرون تقريبا والباقي علمه عند الله. وكان أول الرسل سيدنا آدم نفسه ثم سيدنا ادريس ثم بعد ذلك سيدنا نوح، هود، صالح، ابراهيم، لوط، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، أيوب، شعيب، موسي، هارون، بوشع، زكريا، يحيي، أيوب، ذا الكفل، اليسع، يونس، عيسى، محمد.

ومن أكثر الناس الذين تعرضوا للضغوط النفسية الهائلة هم الأنبياء والرسل. فالضغط النفسي علي النبي أكبر وأعظم منه علي الشخص العادي لثلاثة أسباب. السبب الأول أنه بسبب الخوف علي الدين والحرص علي تحقيقه واستمراريته. والسبب الثاني هو حرص النبي علي تقديم المثل والقدوة لعامة الناس في مواجهة وتحمل الشدائد والصبر والتغلب عليها ولو كان على حساب راحته وبدنه. والسبب الثالث هو حتمية الصبر على الضغوط النفسية حتي تمر الأزمات مع الناس بنجاح فهو مكلف من الله لأداء رسالة لقومه خاصة وللعالمين عامة .

وقد تعرض كل الأنبياء والرسل من سيدنا آدم حتى سيدنا محمد لكثير من الضغوط النفسية الهائلة. صحيح أن الأنبياء اختارهم الله واصطفاهم وهيأهم لمهمة النبوة قبل القيام بها وأثنائها، إلا أن الأنبياء هم في أول الأمر وآخره ليسوا بملائكة بل هم بشر مثلنا وإن كان يوحي إليهم. فالأنبياء يفرحون ويحزنون ويسعدون ويغتمون. فالأنبياء مثلنا يتأثرون بالضغوط النفسية ويتفاعلون معها وإن كان بطريقة وأداء مختلف علي قدر مسئولية الرسالة و النبوة.

ولأن الأنبياء أحب العباد لله سبحانه وتعالي، فدائما ما يبتلي الله أحب عباده ليكونوا قدوة لنا نتعلم منهم كيف يكون الابتلاء، وكيف نواجه ونتعامل معه، وكيف نتغلب عليه ونصبر حتى تمر الأزمة مهما طالت واشتدت ولنتعلم الصبر والعزيمة والتضحية والحكمة والإيمان بقضاء الله وقدره دون تزمت. وقد ابتلي الله أنبياءه ورسله في المال أو الولد أو الصحة أو كل ذلك. فقد ابتلي الله سيدنا نوح في زوجته وولده واختبر صبره على كفر قومه، وابتلي سيدنا ابراهيم في ولده واختبره في القدرة على مواجهة ابيه وعمه



وقومه الكافرون والنار التي القوة فيها، وابتلي الله سيدنا لوط في زوجته وفحش قومه، واختبر سيدنا يعقوب في ولده، وابتلي سيدنا يوسف في غربته وسجنه وظلمه، وابتلي سيدنا موسي في خوفه وغربته واختبره في قدرته على مواجهة فرعون وسحرته، وابتلي سيدنا يونس بظلمة بطن الحوت، وسيدنا عيسي باليهود الذين طاردوه وارادوا ذبحه وصلبه، وابتلي سيدنا محمد في موت ابنه الوحيد وكفر وعناد قومه وعدائهم وفراق عمه وزوجته.

وكان ابتلاء الله لنبي من الأنبياء لا يدوم طويلا ففي النهاية يرفعه الله عن نبيه. إلا ابتلاء سيدنا أيوب الذي طال ما يقرب من ١٨ سنة كانت شديدة الصعوبة عليه هو وزوجته. وكان أعظم ابتلاءات الله لأنبيائه هو ابتلاؤه لسيدنا أيوب. فقد ابتلاه الله في ماله وأولاده وصحته في توقيت واحد. فقد كان سيدنا أيوب من أكبر الأغنياء في عصره. فقد امتلك الحرث والأرض والمرعي والزرع والثمار والماشية والأغنام والأبقار. وامتلك من المال ما جعله الأغنى بلا منازع. ورزقه الله الكثير من الأولي ليقر قلبه. وفوق كل ذلك متعه الله بصحة موفورة وزوجة جميلة وعفيفة.

وهكذا نري أن سيدنا أيوب قد دانت له كل أسباب الحياة من مال وجاه وسلطان وصحة. ثم اخذها الله منه كلها لسنوات طوال ليس ليختبره فقط ولكن ليثبت للشيطان أن العبد يخلص في عبادة وحب الله في وقت الشدة قبل وقت الرخاء. وهكذا كان الغرض من كل الابتلاءات للأنبياء عليهم السلام وهو تقديم المثل لعامة الناس.

والله الموفق ....

د. محمد لبيب

رمضان ٢٠٢١



شجرة الأنبياء




آدم عليه السلام

الفصل الأول

سيدنا آدم

"أول البشر والذي خلقه الله بيديه والذي سجدت له الملائكة وخلقت منه حواء"

آدم، هو اسم العائلة لنا جميعا وإن لم يُكتب في البطاقة أو السيرة الذاتية". وقد وقعت على سيدنا آدم، ومقارنة بأمنا حواء، منذ المهد معظم المسؤوليات الكبرى. فهو الذي خلق من سلالة من طين وليس من جينوم مثلنا، وهو أول بشر سمع من ربه، وهو من تعلم أولا، وهو الذي عاش فترة من عمره لا يعرف مخلوقا آخر اسمه حواء فهو قد خُلق قبل حواء، وهو أول رجل يتعرف على الأنثى ويتزوجها، وهو الذي أنبأ الملائكة بالأسماء بعد أن تعلمها من الله سبحانه، وهو الذي تلقى الأمر من ربه ليسكن الجنة هو وحواء، وهو من سجدت له الملائكة بأمر من الله، وهو من بسببه عصى ابليس ربه فكانت بداية التحدي، وهو الذي تلقى من ربه كلمات ليتوب عليه.

وقد تعرض سيدنا آدم لارتكاب ذنب ومع السيدة حواء وهما لا يزالان في الجنة عندما أغواهما ابليس اللعين ليأكلا من الشجرة التي أمرهما الله ألا يأكلا منها. إنه آدم الذي لم يستمتع بمشاعر البنوة فلم يكن له أب أو أم ولم يستمتع بمشاعر العم والعمة أو مشاعر الخال والخالة وما يترتب عليهما من مشاعر أولاد العم والخال والخالة. هو الذي رأى الجنة بعينيه بكل ما فيها من خيرات ومتاع ثم هبط إلى الأرض والفارق بين الجنة والأرض كبير.

وتزوج سيدنا آدم من السيدة حواء ولم يرزقا بالولد في الجنة بل في الأرض لتبدأ مسيرة تعمير الأرض بالذرية (الإنسان) ليمثل ذلك درسا للبشرية أن



الإنسان هو الأهم وليس البنيان وليس المال. وقد يكون خلق سيدنا آدم قبل السيدة حواء له علاقة بقوامة الرجل على المرأة وفيه دلالة على أن الرجل يصعب عليه العيش بدون امرأة وكذلك المرأة. ولأن الله يعلم بحاجة آدم الحقيقية وطبيعة السكن الذي يحتاجه فقد أعطاه حواء على هيئة خلق شبيها بخلقه ولكنها تُكمله فكانت أجمل هدية من الله سبحانه لآدم ليسعد بها وتصبح السيدة حواء أم نساء العالمين .

ومع أن سيدنا آدم تعلم الأسماء كلها قبل السيدة حواء، فالله اعلم عند أي عمر تعلم الكلمات من ربه، وبأي لغة تعلم تلك الكلمات، وكم أخذ من الوقت لتعلم هذه الكلمات، وما إذا كان قد قام بنفسه بتعليم حواء هذه الأسماء. ومؤكد أن تعليم آدم من قبل ذات الله أولا ثم قيامه هو بتعليم حواء ما تعلمه من ربه يعطي رمزية المسئولية الكبرى التي ألقاها الله على آدم تجاه حواء. ومع أن الله كان يستطيع خلق حواء مباشرة من طين كما خلق آدم، إلا أنه ولحكمة الأُنس خلقها الله من أحد ضلوع صدر آدم حتى تكون هي الجزء وهو الكل، وحتى يظل آدم محتويا حواء، وحتى ترتاح حواء وتهدأ على صدر آدم.

مؤكد كم كان الهبوط من الجنة قاسيا عليهما، وكم كانت الدنيا وحيدة من حولهما والشيطان معهما يمرح في كل مكان. كم كان ذلك قاسيا عليهما وخاصة أن المسؤولية كانت عليهما كبيرة في تعمير الأرض وإرساء الحق فيها. وهبوط أبينا آدم للأرض لم يكن أبداً نفيا من الله له، بل كان رسالة لتعمير الأرض التي خلقها الله قبل أن يخلق آدم، ودرساً لأبينا آدم وأمنا حواء في طاعة الله.

آدم هو أول الأنبياء الذين تعرضوا للضغوط النفسية الكبيرة والمتعددة والمتنوعة. وتخيل نفسك مكان سيدنا آدم لحظة خلقه من طين بعد أن نفخ الله فيه من روحه، وتخيل لحظة رفض ابليس اللعين أن يسجد له، ولحظة علمه بمجاهرة ابليس العداء له ولزوجه السيدة حواء، واللحظة التي اكتشف فيها غوايته من ابليس وارتكابه الذنب رقم واحد في تاريخ البشرية، واللحظة التي علم فيها بقضاء الله عليه وهبوطه من جنة النعيم إلي الأرض، واللحظة نفسها التي هبط فيها وحيدا هو وزوجته إلي الأرض



وما بها من مظاهر دنيوية مختلفة وفضاء وخواء من الناس إلا الهواء حولهم. واللحظة التي بدأ فيها هو وزوجته يعتمدان على نفسهما فقط في السكن والغذاء والماء والرداء من البيئة الطبيعية حولهم الخالية من كل تكنولوجيا. وتخيل نفسك مكان سيدنا آدم بعد أن رزق بأول طفل علي الأرض وهو واقف أمام السيدة حواء يحاول أن يقويها ويساعدها ويهيأ لها احتياجاتها .

صحيح أن الله لم يترك سيدنا آدم وحيدا ولكنه في النهاية بشر مثلنا ومؤكد كل لحظة من هذه اللحظات قد انتابته فيها مشاعر متباينة بين الفرح والقلق والتوتر. وناهيك عن كل اللحظات التي تلت ذاك لأبو البشرية وهو يقوم باستقبال كل فرد جديد من عائلته وتنظيم العلاقات بينهم وتعليمهم أمور الدنيا مما علمه الله قبل أن يهبط من الجنة إلي الدنيا .

وكانت أكثر الابتلاءات على سيدنا آدم هو وقوع الخلاف بين ولديه قابيل وهابيل والذي أدي إلى قتل أحدهما علي يد أخيه فكانت أول عملية قتل مع سبق الإصرار والترصد في التاريخ. وبدأت قصة هذا الابتلاء عندما وضعت حوّاء زوجة سيّدنا آدم عليه السّلام توأمين هما هابيل وأخته، وقابيل وأخته، وكان هابيل من رعاة الأغنام، وقابيل من مزارع للأرض. تزوّج كلٌّ من قابيل وهابيل أخت الآخر، فقد كان ذلك مسموحا ولا سبيل غيره للحفاظ على الذرية والنسل. وكانت أخت قابيل وتوءمه أجمل من توأم هابيل. وعندما طلب آدم من أبنائه إتمام ذلك الزّواج أبى قابيل ذلك؛ لأنّ أخت هابيل والتي سوف يتزوجها هي الفتاة الأقل جمالا، وأراد أن يتزوّج من توأمه التي من المنتظر أن يتزوجها هابيل.

ولحلّ تلك القضيّة هدى الله تعالى آدم إلى مخرجٍ ما، وهو أن يقدّم كلٌّ من قابيل وهابيل قرباناً إلى الله، والّذي يُقبل قربانه سينال مراده ومشتهاه. وبالفعل قام هابيل بتقديم جمل من أنعامه، أمّا قابيل فقد قدّم قمحاً من زرعه. نزلت نارٌ فأكلت قربان قابيل، وتركت لهابيل قربانه؛ وهنا اغتاظ قابيل وقال لأخيه لأقتلنّك كي لا تنكح أختي. رد هابيل إنّما يتقبّل الله من المتّقين.

كان هابيل رجلاً موفور الجسم والعقل، وُهب الحكمة وآثر رضا الله تعالى، وطاعة والديه راضياً بقسمة ربّه، وقد غلت نار الحسد والغيرة والحقد في



قلب قابيل، فقام بقتل أخيه وهو نائم، وبهذا يكون هابيل أوّل من قُتل على سطح الأرض. وهنا احتار قابيل كيف يواري جثّة أخيه، وظل يحمله في جراب على ظهره حائراً ومضطرباً لا يعلم ماذا يفعل. وفجأة بعث الله تعالى غرابين يقتتلان، فقتل أحدهما الآخر وكأنهما قابيل وهابيل. قام الغراب الذي قتل بعمل حفرةٍ في التّراب بمنقاره ليواري فيها جثّة الغراب الآخر ويخفيها تحت التّراب. ومن هذا المشهد تعلّم قابيل متأثّراً ومستشعراً بشيء من الحسرة والنّدم، وقام بحفر حفرةٍ لأخيه دافناً جثّته تحت التّراب. وهكذا كان هذا الحقد والحسد من قبل قبيل سببا في أول عملية قتل في التاريخ وكان ابتلاء عظيما لسيدنا أدم حزن بسببه حزنا شديدا. وبسبب ذلك تفرق أبناء سيدنا آدم إلي مجموعتين هجرا بعضهم البعض.

رحم الله سيدنا آدم ورحم الله جميع الأنبياء والرسل، فقد تحملوا العناء والشدائد وصبروا عليها من أجلنا نحن لنستمتع بالعبادة في راحة وسلام .

رحم الله أبانا آدم وأمنا حواء ورضي عنهما حتى نلقاهما يوم القيامة ونرى وجهيهما الجميلين.


نوح
عليه السلام

الفصل الثاني

سيدنا نوح

"النبي الصابر صاحب الطوفان"

ومرت ألف عام علي رحيل سيدنا آدم عن الحياة بعد أن عاش ما يقرب من ألف عام ترك بعدها ذرية مؤمنة وموحدة بالله ومسلمة من أبنائه. فرغم أن فصيل من أحفاده من نسل قابيل قد عصوا الله علي عكس أولاد وأحفاد هابيل الذي قُتل علي يد قابيل، إلا أن العصيان لم يصل أبدًا للكفر بالله. ولكن بعد موت سيدنا آدم قل الإيمان وزادت المعصية حتي وصلت إلي الكفر بالله وعبادة الأصنام.

وأوحي الله إلي سيدنا نوح بالنبوة في قومه، يدعو فيهم ليل نهار بعبادة الله الواحد الأحد والبعد عن عبادة الأصنام. ولكن للأسف لم يتبع سيدنا نوح إلا عدد قليل لم يزد عن ٨٠ من المؤمنين الذين كان معظمهم من الضعفاء والفقراء والعبيد. ورغم أن سيدنا نوح عاش حوالي الألف عام (٩٥٠ عاما)، إلا أن قومه تصدوا له واستهزئوا به وسخروا منه مرارا وتكرارا.

ورغم أن سيدنا نوح لم ييأس أبدًا وظل يدعو قومه وهم عنه معرضون، إلا أن العدد الذي تبعه لم يزيد بعد حوالي ٩٠٠ عام عن أكثر عن ٨٠ فرد. وهنا أوحي له الله أن يكف عن دعوتهم وأن يكتفي بما فعله معهم طوال أجيال متعاقبة، وهنا أوحي له أن يصنع السفينة لينقذ المؤمنين الذين اتبعوه ويترك الكفرة للهلاك المبين .



وتخيل نفسك في موقع سيدنا نوح وهو مستمر في الدعوة ويقابل بالسخرية الشديدة من قومه حتي لقبوه بالمجنون. وتخيل نفسك مكان سيدنا نوح وهو يكتشف أن ملك المدينة نفسها قد أعلن عداءه وقتله والخلاص منه. وليس ذلك فقط ولكن انضمت زوجته وأحد ابنائه (يدعي كنعان) إلي صف أعداءه. موقف شديد الصعوبة أن يتحول فصيل من الأهل ليجاهر بالعداء ضده مع الأعداء .

وكانت أشد المواقف صعوبة علي سيدنا نوح هي عندما ركب السفينة ومعه أتباعه وزوج من كل نوع من النباتات والحيوانات ثم رفض ابنه كنعان أن يركب معه السفينة وأصر علي البقاء مع القوم الكافرين. سيدنا نوح يعلم من الوحي أن قومه هالكون بالغرق ويري الموج يتصاعد بعد إن فتحت السماء أبوابها للمطر المنهمر وفجرت الأرض ينابيعها حتى علت أمواج المياه كالجبال. وكلما نادي سيدنا نوح علي ابنه رفض الابن العاصي المثول لدعوته حتى باعد الموج بينهما وغرق الابن أمام أبيه وهو كافر.

هكذا تحمل سيدنا نوح الضغوط النفسية الهائلة لأكثر من ٩٠٠ عام أثناء دعوته ولكنه كان صبورا ولم ييأس من الدعوة. وهكذا تحمل الأنبياء الضغوط النفسية من أجل انجاح الدعوة وبقائها في الأجيال المتعاقبة حتى وصلت الينا لننعم بعبادة الله الواحد الأحد. فمهما كانت الضغوط النفسية التي نتعرض لها فهي لا شيء لما تعرض له الأنبياء والرسل، فيكفي أن ما نتعرض له من ضغوط هي ضغوط دنيوية. صحيح أننا لسنا أنبياء، وصحيح أن الأنبياء والرسل دائما معهم الله من خلال الوحي، إلا أن الأنبياء في الأول وفي النهاية هم بشر يغتمون ويفرحون .

رحم الله سيدنا نوح ورحم الله جميع الأنبياء والمرسلين ورحم عباده المسلمين.




صلى الله عليه وسلم
إبراهيم

الفصل الثالث

سيدنا إبراهيم

"النبي الأب المتأمل الذي أختبر في ابنه"

من أكثر الأنبياء الذين تعرضوا لضغوط نفسية هائلة هو سيدنا إبراهيم والذي تحملها بعزم وصبر كبير. ولذلك فهو من الأنبياء أولي العزم. عاش سيدنا ابراهيم حوالي ١٧٥ عاما متنقلا من بلد إلي بلد وفي كل بلد هاجر إليها كان يتعرض لضغوط نفسية واختبارات نفسية هائلة لا يتحملها أي بشر إلا إذا كان يوحي إليه من الله ليقوم بمهام ثقيلة من أجمل إعمار البشرية.

فمنذ حوالي ٤٠٠٠ عام (أي حوالي ٢٠٠٠ قبل الميلاد)، ولد أبو الأنبياء وخليل الرحمن النبي الرسول من أولي العزم سيدنا إبراهيم عليه وعلي نبينا وجميع الأنبياء الصلاة والسلام. ذُكر اسم سيدنا ابراهيم ٦٩ مرة في مواضع مختلفة في القرآن الكريم. وفي كل مرحلة عمرية منذ صباه وحتى وفاته، تعرض سيدنا ابراهيم لضغوط نفسية كبيرة. كان أقلها مواجهته بالحجة للملك النمرود والذي يُعتقد أنه (اسم بختنصر ومعناه السعيد الحظ) الذي كان يحكم بابل آنذاك. وكان أقصاها عندما هم بذبح ابنه وفلذة كبده الوحيد سيدنا إسماعيل والذي وُلد قبل سيدنا اسحاق بحوالي ١٣ عاما .

رغم المدنية والحضارة التي سادت في بابل، إلا أن عبادة الأصنام والكواكب انتشرت في وقت ميلاد سيدنا ابراهيم انتشارا هائلا والتي يظن أنها كانت ملجأ للفساد وجذب العامة وسلب أموالهم من قبل الحكام. ففي عُمر الصبا أوحي



الله لسيدنا ابراهيم بأن يدعوا قومه وأولهم أبوه (عمه) آزر إلى عبادة الله الواحد الأحد وترك عبادة الأصنام.

وبالفعل قام بدعوة أبيه بالحكمة ولكن أباه أبي وطرده عقابا على تخليه عن عبادة الآباء والأجداد. فما كان من سيدنا إبراهيم إلا أن قرر تحطيم هذه الأصنام. وصبر حتى آتته الفرصة في عيد الزينة لقومه. بعد انتهائهم من المراسم وانصرافهم دخل الي ساحة عبادة الأصنام وقام بتحطيمها جميعا. ولذكائه وحكمته البالغة ترك كبيرهم وعلق الفأس في رقبته .

وجاء الصباح وهاج الناس وعرفوا أن سيدنا أبراهيم هو الذي حطم الأصنام. وبالفعل واجهوه بعنف وقوه وغضب، ولكنه كان قويا وثابتا، وسخر منهم بحجته التي يذكرها التاريخ والكتب السماوية. فقد واجههم وهو في سن الصبا وقتها بقوله "لقد فعلها كبيرهم (وهو الصنم الكبير الذي تركه سليما) الذي حطمهم فاسألوه". وكان ردا مذهلا للملأ والذي جعلهم يفكروا في طيات أنفسهم في مصداقية ملتهم. ولكنهم سرعان ما عادوا وانهالوا عليه بالتوبيخ والتهم والوعيد بسبب فعلته. وبالفعل كادوا له عند الملك الذي كان مشهورا ببطشه كأقوى ملوك الأرض آنذاك .

وتحدد ميعاد المواجهة الكبري بين سيدنا ابراهيم والملك النمرود. وكانت المواجهة لصالح سيدنا ابراهيم حينما زعم الملك أنه قادر علي أن يحي ويميت مثل رب ابراهيم، فكان رد سيدنا ابراهيم مفعما هذه المرة أيضا عندما قال بثبات وإيمان "ربي يأتي بالشمس من المشرق فأت بها أنت من المغرب". وهنا بُهت الملك وخاف من الاستمرار في مجادلة الصبي (سيدنا ابراهيم) فأمر بحرقه أمام الجميع ولكن الله جعل النار الحامية الهائلة بردا وسلاما علي سيدنا ابراهيم فخرج منها معافي وسط ذهول الجميع بعد أن سلب منها خاصية الحرق.

وتعددت المواقف الصعبة علي سيدنا ابراهيم، والتي وضعته تحت ضغوط نفسية هائلة، ولكنه كان يتخطاها كل مرة بحكمة بالغة وبوحي من الله.



وكانت إحدى هذه المواقف عند دخوله مصر بعد حدوث المجاعة في بلاد فلسطين. وكان ملك مصر آنذاك يستولي على النساء الجميلات خاصة المتزوجات بعد تطليقهن من أزواجهن. ولما علم سيدنا ابراهيم بذلك شعر بقلق شديد لأن زوجته السيدة سارة كانت جميلة رغم عمرها الذي كان حوالي الخمسين.

وهنا تصرف سيدنا ابراهيم بحكمة وادعي أنها أخته. ورغم ذلك فقد طلبها الملك، ولكن الله حال بينه وبينها ولم ينل منها بل خاف من الهاجس الذي استولي عليه بموته إذا نال منها. فما كان من هذا الملك حاكم مصر إلا أن أهدي سيدنا ابراهيم جارية جميلة وهي السيدة هاجر، التي تزوجها لاحقا بتصريح من السيدة سارة وأنجب منها ابنه الأكبر وفلذة كبده سيدنا إسماعيل. وكان طلب الملك لزوجته محنة كبري تعرض لها سيدنا إبراهيم ولكنه صبر عليها حتي انقذه منها ربه بسلام .

ورغم تعرض سيدنا ابراهيم للكثير من المواقف الصعبة الأخرى التي وضعته تحت ضغط نفسي هائل مثل نقل زوجته هاجر هي وابنه اسماعيل بعيدا عنه وتركه لهما في مكة والتي كانت آنذاك مكانًا خاليا تماما بلا ماء أو زرع أو ناس، إلا أن الضغط النفسي الأكبر كان قراره بذبح ابنه إسماعيل في أحد زياراته له ولأمه هاجر بناء على رؤية في المنام.

كان موقفا شديد الصعوبة لمجرد التفكير فيه وتنفيذه رغم أنه مجرد حلم في المنام، خاصة وأن اسماعيل كان صبيا وكان ابنه الوحيد والذي جاءه علي كبر .ومع كل هذه الضغوط النفسية الهائلة، إلا أن ايمان سيدنا ابراهيم بربه جعله يهم بتنفيذ ذبح فلذة كبده بالفعل بعد أن أخبر اسماعيل بالرؤيا. ولكن الله أنقذ الأب والابن من هذا الامتحان الصعب الذي نجح فيه كلا منهما بإيمان بالغ سجلته الكتب السماوية كأعظم الامتحانات النفسية في التاريخ.

وهكذا نري لماذا كان سيدنا ابراهيم من الأنبياء أولي العزم، الذين صبروا علي الشدائد والاختبارات النفسية الشديدة والتي لا يتحملها بشر. ولكنه تحملها بعزم وصبر وحكمة بالغة. وكان ثواب ذلك أن منحه الله في سن الشيخوخة ابنه الثاني إسحاق رغم أنه كان قد تعدي عمر المئة عام. كما أن الله جعله



يعيد بناء الكعبة وجعله يؤذن في الناس بالحج إلي الكعبة بعد أن بناها ليسمعه كل الناس رغم أنه كان بعيدا عن كل الناس. وجعل الله منه ذرية كبيرة عمرت المكان بالناس والرزق، وحمي ابنه وزوجته هاجر وجعل من ذريته الأنبياء سيدنا اسماعيل واسحق ويعقوب وبعد ذلك يوسف وموسى وهارون وعيسي وخاتم الأنبياء سيدنا محمد .

وهكذا نري أن مع العسر يسرا، وأن الشدائد تولد الرجال، وأن الله لا يترك عباده وقت الشدائد طالما هم لا يتركون ذكره والاعتماد عليه بالحكمة قولا وعملا .

اللهم ارحم سيدنا ابراهيم وجميع الأنبياء والمرسلين. وصلي اللهم وسلم عليهم أجمعين واحشرنا معهم يوم الدين. واللهم اجعلنا من أهل العلم والحكمة وأولي العزم والصبر .




لوط عليه السلام

الفصل الرابع

سيدنا لوط

"النبي الصابر العفيف"

في كثير من العهود في التاريخ، كان الله يرسل أكثر من نبي ورسول في نفس الوقت لكي يدعو أمم مختلفة في نفس الوقت. وقد حدث ذلك في عهد سيدنا إبراهيم، وسيدنا يعقوب، وسيدنا داوود، وسيدنا موسي حتي جاء آخر الأنبياء محمد ليكون خاتم الأنبياء وحده.

وذكرت في الفصل السابق عن المواقف المختلفة التي وضعت سيدنا ابراهيم تحت ضغط نفسي رهيب وكيف أن الله وقف بجواره بسبب ايمانه الشديد وحكمته البالغة. وبعد أن ترك سيدنا ابراهيم زوجته السيدة هاجر ومعها ابنهما إسماعيل في مكة وهو في عمر الطفولة ودعا لهما الله، عاد إلي موطنه في مدينة حاران في الشمال حيث كان قد ترك السيدة سارة. وعلي الفور طلب سيدنا إبراهيم من سيدنا لوط ابن أخيه أن يذهب إلي قري سدوم، عند البحر الميت حاليا، لكي يدعو أهلها الكافرين الفجرة بصورة مقززة. وبالفعل استجاب له سيدنا لوط وتوجه إلي هناك هو وأهله وعاش بين قوم سدوم ليدعوهم إلي الهدي، وهو الذي كان غريبا عليهم. وهناك وُضع سيدنا لوط تحت اختبار نفسي رهيب .

وسيدنا لوط هو ابن أخو سيدنا ابراهيم. وكان سيدنا لوط حاضرا في مناظرة تحطيم الأصنام التي نفذها سيدنا إبراهيم في صباه. فعندما حاج قومه وطلب منهم أن يسألوا كبير الأصنام حينما ادعي سيدنا ابراهيم أنه هو الذي



حطم بقية الأصنام، كان يشاهد هذا الموقف سيدنا لوط الذي انبهر بحجة عمه سيدنا ابراهيم، فآمن به علي الفور رغم صغر عمره آنذاك. وكان سيدنا لوط هو الوحيد من قوم سيدنا ابراهيم الذي آمن ولم يعبأ بتهديدات قومه وأعلن لهم أنه سوف يرحل عنهم هو الآخر. وبالفعل رحل هو وسيدنا إبراهيم وقتها وذهبا إلي هاران .

وصل سيدنا لوط إلى منطقة سدوم وعاش فيها هو وزوجته وبناته. وصدم بما رأي من مظاهر وأفعال المنكرات والفواحش التي كان يقوم بها أهل قري سدوم نهارا جهارا. فقد اشتهر أهل هذه القري بما يقال عنه هذه الأيام بالمثليين. (وللأسف اعتاد الناس أن يطلقوا بالخطأ اسم "لوطي" علي من يمارس هذه الفحشاء، وبالطبع هذا خطأ فادح يجب التوقف عنه). و كان رجال قري سدوم ينكحوا بعضهم البعض في شهوة عارمة دون النساء حتي أصبحوا أسوأ من البهائم. ووصل الأمر أن هذا النكاح المثلي أصبح هو السائد واعتبروه الطُهر وعكسه هو النجاسة. ولذلك اتهموا سيدنا لوط وقومه أنهم أناس يتطهرون لأنهم كانوا ضد هذه الفحشاء. ووصل الأمر سوءا أنهم كانوا يفعلون ذلك علانية. والأسوأ أنهم كانوا يعتدون علي من يزور المدينة من الضيوف والغرباء .

حاول سيدنا لوط أن يدعوهم إلي الهدي وطريق الرشاد والبعد عن هذه الفواحش التي حرمها الله وأن يعودوا إلي الطهارة وهي نكاح النساء في الحلال، إلا أنهم كانوا لا يسمعون له ولا ينصتون، بل كانوا يهزؤون به .

وكانت أسوء اللحظات عندما علم سيدنا لوط بأن زوجته كفرت بدعوته وخانته وانضمت إلي قومه. فبالطبع كان يمثل ذلك ضغطا نفسيا كبيرا علي سيدنا لوط، خاصة أنه لم يكن من هؤلاء الناس وبالتالي ليس له فيهم أهل يمنعونه ويزودون عنه وقت الشدة. فأصبح هو وبناته وحدهم يواجهون كل هؤلاء الكفرة الفجرة .

ورغم أن القرآن الكريم لم يتعرض لتفاصيل حياة سيدنا لوط، إلا أن الموقف الذي ذكره القرآن تشيب منه الأبدان عندما تسمعه وتتأمله .



فبعد أن استفحل فجور أهل سدوم ، أرسل الله ثلاثة من الملائكة ليقضوا عليهم. نزل الملائكة الثلاث أولًا علي سيدنا أبراهيم ليبشروه بغلام من زوجته السيدة سارة ليكون أخا لسيدنا اسماعيل الذي تركه هو ووالدته السيدة هاجر في مكة .

لم يدر سيدنا إبراهيم أنهم رسل من الله في بادئ الأمر، ولكنه علم بعد ذلك عندما لم يمدوا ايديهم إلي الوليمة التي أعدها لهم. وهنا بشروه أمام السيدة سارة بغلام رغم أن عمره كان حوالي المائة وهي عمرها حوالي التسعين. وكانت بشري عجيبة لهم واسعدتهم كثيرا هذه المفاجأة الربانية. ورزقهما الله بعدها بسيدنا اسحق عليه السلام.

أخبر الرسل سيدنا إبراهيم بمهمتهم الثانية، وهي القضاء على قوم سيدنا لوط. وحاول سيدنا ابراهيم أن يطلب تأجيل العذاب لعلهم يتوبوا، ولكن القرار قد نفذ وتركوا سيدنا ابراهيم وتوجهوا إلي دار سيدنا لوط في قري سدوم، والتي تقع حول البحر الميت بعيدا عن سيدنا إبراهيم .

تمثل الرسل في هيئة ثلاث رجال في صورة كلها جمال يأخذ الناظرين. وعندما وصلوا بيت سيدنا لوط رحب بهم كضيوف غرباء وهو لا يعلم أنهم ملائكة. ولكنه اغتم جدا بسبب جمالهم الأخاذ والذي سوف يجعلهم فريسة لقومه الفجار، وهو لا يستطع الزود عنهم وحمايتهم. اغتم كثيرا وأصبح تحت ضغط نفسي رهيب ولم يدر ماذا يفعل بضيوفه وضاقت به الأرض بما رحبت.

وما زاد الموقف سوءا خيانة زوجته له. فبمجرد أن رأت هؤلاء الرجال الثلاثة، أسرعت لتخبر قوم سيدنا لوط ليأتوا وينالوا منهم ويمارسوا معهم الرذيلة. وبالفعل فوجئ سيدنا لوط بقدوم رجال القرية وهم يدقون علي الباب بعنف حتي يفتح الباب. ولكنه قاوم وقاوم وفي النهاية لم يستطع صدهم، ودخلوا عليه وعلي ضيوفه محاولين النيل منهم .

وهنا أصبح سيدنا لوط تحت ضغط نفسي كبير مما جعله يصيح فيهم ويقول هؤلاء بناتي تزوجوهن فهن أطهر لكم بدلا من انحرافكم وايذائكم



لضيوفي. ولكنهم زادوا في هجومهم وعصيانهم والاعلان عن شهوتهم. وهنا تدخل الرسل وأخبروا سيدنا لوط بحقيقة أمرهم وطمأنوه عليه وعلي بناته وأنهم سوف يقضون عليهم بالكامل في الصباح الباكر. وهنا اطمأن سيدنا لوط وهدأ قلبه وحمد الله واستمع إليهم لينفذ ما أوحي به الله .

طلب الرسل من سيدنا لوط أن يسري هو وأهله ليلا ولا يلتفت وراءه مهما حدث حتى لا يصاب بالفزع مما سوف يري من هلاك هؤلاء الفجرة. وفي نفس الوقت قام سيدنا جبريل عليه السلام بلطم وجوه قوم سيدنا لوط ليعميهم ويصرفهم عنه في الحال .

وبالفعل انصرفوا وهم يتحسسون مواضع ايديهم واقدامهم بعد أن عميت أعينهم وهم يتوعدون بمجيئهم في الصباح الباكر لينالوا من ضيوفه كما يشَاءُونَ. ولكن لم يأت عليهم الصباح وهم أحياء فقد هُلكوا فردا فردا بالحجارة المسومة أي المعلوم هدفها لكل فرد فيهم. وقضي على القرية تماما بمن فيها بعد أن رفعها سيدنا جبريل بطرف جناحه في السماء وألقي بها على الأرض. ولم ينجوا من هذا الهلاك سوي سيدنا لوط وبناته .

وهكذا نري كم كان هذا الموقف عصيبا على سيدنا لوط مما جعله يغتم من تصرفات قومه وفجرهم أمام ضيوفه وبناته. ولكن الله سلمه وأنقذه وقضي على الكافرين وترك لهم أثرا بَاقِياً حتى الآن لكي تعتبر الأجيال اللاحقة .

رحم الله سيدنا لوط وبناته وصلي الله عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين .




عليه السلام
يعقوب

الفصل الخامس

سيدنا يعقوب

"الأبوة والصبر والتفاؤل والحكمة والنبوة"

سيدنا يعقوب هو أحد أحفاد سيدنا ابراهيم من نسل ابنه اسحق. ولد سيدنا يعقوب في منطقة فلسطين ثم هاجر إلي الشام في سن الشباب ليزور أخواله ويقضي بعض الوقت. وكان قد أوحي الله له بالنبوة في ذلك الوقت. وكان أحد أخواله لديه ابنتان وهما رحيل وليا. وتعلق يعقوب برحيل وأراد الزواج منها. ووافق خاله علي الزواج شريطة أن يقضي معه ٧ سنوات. ورغم أن يعقوب وافق بحماس من أجل الارتباط برحيل، إلا أنه فوجئ أن خاله زوجه بليا وليس برحيل. ووافق سيدنا يعقوب ودخل بليا ورزقه الله منها بستة بنين. ولما علمت ليا أنها لم تعد قادرة علي الإنجاب زوجته جاريتها والتي رزقه الله منها بولدين .

وبعد أن قضي يعقوب السبع سنوات أعاد طلب الزواج من رحيل. وبالفعل وافق خاله علي تزويجه بنفس الشرط وهو قضاء ٧ سنوات معه. ووافق سيدنا يعقوب لتعلقه الشديد برحيل وكان الشرع في ذلك الوقت يسمح بالجمع بين الأختين. ولكن الله لم يشأ له أن يرزقه الولد من رحيل. وصبرا علي ذلك طويلا ولكن لما طال الأمد زوجته رحيل من جاريتها والتي ولدت له ولدين وبهذا أصبح لديه ١٠ بنين ، ٦ من ليا واثنان من جاريتها واثنان من جارية رحيل .



وبعد عدة سنوات يشاء القدر أن تحمل رحيل مما اسعد يعقوب وشرح صدره لأنه كان يتمني أن يكون له أولاد منها فهي احب النساء اليه. وبالفعل رزقه الله بولدين هما بنيامين ويوسف. وفرحا بهما جدا وخاصة يوسف وأغدق عليهما حنانا وعطفا ليس لأنه يفضلهم عن اخوانهم ولكن لأنهم صغارا وهو شيخ كبير ولأنهم أولاد حبيبة قلبه رحيل .وبهذا أصبح ليعقوب ١٢ رجل بأعمار متفاوتة .

وبعد حوالي ٦ سنوات أي بعد ٢٠ عاما قضاها مع خاله بعيدا عن أبيه اسحق، عاد يعقوب الي موطنه في بيت لحم بأولاده ال ١٢ وزوجاته. وتوفت رحيل وحزن عليها حزنا شديدا مما جعله يتعلق أكثر بأولاده منها يوسف وبنيامين. وكبر الأولاد بين تعلق سيدنا يعقوب بيوسف مما جعلهم يشعرون بغيرة شديدة منه وفكروا أن يتخلصوا منه ليخلوا لهم وجه أبيهم وينالوا بركات النبوة منه علي حسب ظنهم .

وقد تعرض سيدنا يعقوب لضغط نفسي هائل عندما عاد أولاده من المرعي بدون ابنه الأصغر وفلذة كبده يوسف. وعندما تأكد من باقي ابناءه أنه فقده حزن عليه حزنا شديدا، وبكي عليه بكاء متواصلا حتي ابيضت عيناه من الحزن. لم يكن فقط لأنه أصغر أبنائه هو وأخوه بنيامين، وأنه جاء علي كبر، ولكن أيضا لأنه ابن زوجته رحيل ابنة خاله الصغيرة والتي أحبها حبا شديدا وقضي من عمره ١٤ عاما في غربة عن وطنه يعمل عند خاله لكي يتزوجها.

وفوق كل ذلك فقد كان سيدنا يعقوب يتوسم في يوسف النبوة لما رأي فيه من علامات في الخلق والفهم والطاعة، حتي أنه صنع له قميصا خاصا من شدة حبه له و لجماله الأخاذ. وكان سيدنا يعقوب دائم القلق علي سيدنا يوسف من تصرفات أخوته لما رأي من غيرة منهم لتعلق يوسف به وللحنان الذي يوليه يعقوب ليوسف وبنيامين.

ولذلك نصح يعقوب يوسف بألا يذكر الحلم الذي رآه في المنام لأخوته من رؤيته لأحد عشر كوكبا والشمس والقمر يسجدون له حتي لا يزيد ذلك غيرتهم. ولكن الغيرة لم تنطفأ في قلوبهم وبالفعل خططوا لقتله، ثم تحول مشروع القتل إلي القاء في البئر لينتهي المقام بيوسف بشرائه من عابري



سبيل ثم في النهاية لحاكم مصر لصبح عزيز مصر ووزير ماليتها كما هو معروف في قصته المذكورة في القرآن الكريم بالتفصيل للعبرة والحكمة .

ولم تهدأ دموع يعقوب علي فراق ابنه يوسف وظل حزينا لأكثر من عشر سنوات عجاف وقلبه يتقطع في صدره حزنا رغم أنه يحدثه بلقاء يوسف، كيف لا يدري ولكنه كان يشعر بذلك بقلب الأب وروح النبوة. وبالفعل أمر الله سبحانه بلم شمل الأب والابن بعد سنوات طوال ذاقا فيها عذاب الفراق والانتظار حتي من الله عليهم باللقاء في مصر ليتحقق حلم يوسف في النهاية .

وهكذا نري كم الضغط النفسي الشديد علي الأب المكلوم علي فلذة كبده والذي قيل له أن الذئب أكله وهو غير مصدق ظل يبكي علي فراقه حتي تم اللقاء الذي رده الله مبصرا ليري ابنه ليس عزيزا في مصر فقط ولكن ايضا عزيزا عليها بما حققه من نجاحات في الخلق والدين والمال والاقتصاد .

رحم الله سيدنا يعقوب وسيدنا يوسف وجميع الأنبياء والمرسلين .




يُوسُفْ

الفصل السادس

سيدنا يوسف

"الجمال والعفة والحكمة والنبوة"

الغيرة والاضطهاد والظلم والحقد مع سبق الإصرار والترصد ونهارا جهارا قد تصيب النفس بالانهيار خاصة إذا كان مصدر كل تلك الضغوط النفسية من الأقارب، فما بالنا لو كان ذلك من الأخوة. يحدث ذلك للعديد منا، ومنا من يتحمل ويصبر، ومنا من يصاب بالاكتئاب، ومنا من ينهار عصبيا، ومنا من يتصرف برد فعل عدائي قد تكون نهايته مأساوية لجميع الأطراف. ولذلك ابتلي الله أحب أحبائه وهم الأنبياء والرسل بكل أنواع الضغوط النفسية وفي مختلف مراحلهم العمرية لكي يقدموا لنا المثل والقدوة التي نهتدي بها. ولنعلم أن الابتلاء ليس معناها غضب الله علينا بل قد يمثل حبا خاصا لا يدركه إلا العابدون الحامدون الطائعون .

وحتى تقوم القيامة لن يخلو مجتمع ما علي ظهر الأرض من مظاهر الحقد والغيرة والكراهية. بل كلما زادت عضلات التكنولوجيا وجرت مجري الدم في عروقنا، كلما زادت هذه الصفات اللا إنسانية وتعمقت في أطراف المجتمع. ولذلك علينا التأمل في حياة الرسل وفي القصص القرآني الذي يقدمه الله لنا لنتعلم منه وليزداد ايماننا بأن وراء كل ابتلاء حكمة ومع كل صبر علي البلاء فرحة.

والقصص القرآني الذي يبين الضغوط النفسية علي الرسل هو عبرة ليس فقط لعامة عباد الله، ولكن أيضا للرسل أنفسهم. فقصة سيدنا يوسف وهي



مكية، علي عكس معظم السور المكية التي تركز علي التهديد و الوعيد، قدمت قصة حياة سيدنا يوسف مع أبيه وأخوته في وصف رائع للأحداث يجعل قلب القارئ الذي تعرض للظلم والحقد والكراهية والوحدة والنفي والغربة هادئا لينا وراضيا حتي وإن لم يكن مؤمنا. وهذا ما حدث مع سيدنا محمد في عام الحزن بمكة عندما نزلت عليه سورة يوسف بعد وفاة عمه ابو طالب وزوجته السيدة خديجة لتهدأ من روعه وتخفف من أحزانه وتطبطب علي قلبه ونفسه الحزينة .

ففي قصة يوسف التي أنزلها الله في توقيت هام علي سيدنا محمد وهو في قمة الحزن شملت ضغوطا نفسية رهيبة ليس فقط علي سيدنا يوسف الغلام الصغير ولكن ايضا علي أبيه يعقوب بل أقول وأيضا علي أخوته الأحد عشر الذين كانوا نفسهم سببا في كل ما حدث لأبيهم وأخيهم. فقد تعرض سيدنا يوسف لمشاعر الغيرة والحقد من أخوته ثم الخوف الشديد في البئر وحيدا في ظلمة كالحة بدون ماء أو زاد وسط الصحراء المخيفة، ثم لمشاعر المقيد الذي كان حرا وأصبح يباع ويشتري بثمن زهيد، ثم كتمان مشاعره طوال طريقه من فلسطين الي مصر، ثم بيعه لعزيز مصر في بيئة جديدة عليه في اللغة والدين والثقافة والتقاليد ومظاهر الحياة.

تخيل نفسك مكان سيدنا يوسف في عمر الصبا يُبعد عن أبيه قصرا ودون أن يودعه وهو الطفل المدلل عند أبيه وكل ذلك بسبب اخوته الذين ظلموه وظلموا أبيه. وتخيل نفسك وقد حملك أخوتك عنوة وألقوا بك في بئر عميق بعد أن خلعوا عنك قميصك ثم رحلوا عنك غير مبالين وتركوك تواجه الوحدة والظلام وأنت تفكر في أبيك وأخيك المقرب إليك وكيف سيكون حال أبيك عندما يتلقى الخبر وهو الذي لا ينام إلا وهو يشعر بأنفاسك في أنفاسه. كل هذا يحدث لغلام صغير نبي ابن نبي (يعقوب) ابن نبي (اسحق) ابن نبي (ابراهيم) .

كان أول فضل لله علي يوسف وهو في سوق الرقيق أن اشتراه نخاسين تابعين لعزيز مصر تعودوا أن يلتقطوا أفضل ما في السوق من غلمان وصبايا ليخدموا في بيت عزيز مصر. ووقع اختيارهم علي يوسف فكان بداية الفرج. وكان الفرج الثاني هو احتضانه من قبل عزيز مصر والذي عندما رآه فرح به



وطلب من زوجته زليخة أن تكرمه في التربية لعله يتخذه ابنا لأنه كان بدون أولاد.

وبالفعل بدأ الخير بتدفق علي سيدنا يوسف بعد ان اجتاز حاجز اللغة والعادات والتقاليد والدين وأصبح معززا مكرما في بيت رئيس مجلس الوزراء وبدأ يشعر بالراحة والاطمئنان وممارسة طقوسه الدينية حيث كانت مصر آنذاك تحت وطأة حكم الهكسوس وليس الفراعنة مما اعطي يوسف الفرصة لعبادة الواحد الأحد علانية وبتشجع من ملك البلاد من أجل النكاية من الفراعنة.

وبعد كل ذلك يفاجأ سيدنا يوسف بانقلاب الحياة عليه رأسا علي عقب ويدخل السجن بلا ذنب وبلا سابق انذار. ويتحول من رجل مهم الي مسجون بين أربعة جدران. حدث ذلك عندما اتهمته زوجة عزيز مصر (رئيس الوزراء) بالتعدي عليها والتحرش بها بسبب رفضه لمعاشرتها وخيانة العزيز بعد أن هامت به حبا لحسنه وجمال ملامحه وخلقه. وحكم عليه بالسجن لسنوات طوال رغم يقين العزيز أنه بريء ورغم يقينه بكذب زوجته .

وصبر يوسف صبرا جميلا علي كل هذه الابتلاءات والمحن. وكان دائم التفاؤل بفضل ايمانه المطلق في الله وحسن ظنه في ربه واستقامته التي شهد له بها الجميع حتي أقرانه في السجن. وكان يتحين الفرصة متمنيا أن يسمع أخبارا عن أبيه واخوته فقد كان يعيش علي أمل وحنين لقياهم .

وجاء اليسر بعد العسر للمرة الثالثة وخرج من السجن بسبب تفسيره لحلم فقد كان بارعا في تفسير الأحلام بفضل الله. فقد فسر أحلام رفاقه بالسجن وبالفعل رأو تفسيره حقيقة علي أرض الواقع بعد أن خرجا من السجن، أحدهما أصبح في حاشية الملك والآخر تم اعدامه تماما كما فسر حلم كل منهما .

وهو مازال في السجن وحيدا بعد خروج رفاقه رأى ملك مصر في منامه سبع بقرات سمينة يأكلهن سبع بقرات هزيلة، وسبع سنابل قمح خضراء، وسبع



سنابل أخرى جافة. وبناء علي ترشيح رفيقه الذي شاركه السجن لسنوات والذي بشره بأنه سوف يكون من حاشية الملك، طلبه ملك مصر (ويظن أن ذلك كان في عصر احتلال الهكسوس لمصر حوالي ١٧٩٠ قبل الميلاد) ليفسر له هذا الحلم الذي استعصي علي الجميع أن يفسروه. وفسر يوسف الحلم تفسيرا منطقيا وعقلانيا وعلميا ربط فيه حاضر ومستقبل البلاد بالمال وبالاقتصاد .

وكان تفسير يوسف لرؤية الملك هذه بأن مصر سوف تمر بسبع سنوات من خصوبة الزراعة كما هو معتاد، ثم تأتي بعد ذلك سبع سنوات أخرى تصاب فيها البلاد بالجدب. ولذلك يجب علي أهل البلاد أن يدخروا من محصول القمح في سنوات الرخاء تحسبا لسنوات الشدة، وألا يستهلكوا من محصول الزرع إلا القليل الضروري لطعامهم فقط، ثم بشرهم بعد هذه السنوات الصعبة بسنة يأتيهم فيها المطر والرخاء، ويعصرون فيها الثمار كالعنب أو الزيتون. اقتنع ملك مصر بتفسير يوسف وسر به جدا مما جعله يخرجه من السجن ويعينه وزيرا علي خزائن مصر. وهكذا كان سجن يوسف خيرا كبيرا له لم يكن يحدث لو لم يُسجن.

ثم جاء الانفراج الكبير وتحقيق الأمل الكبير الذي كان يراود يوسف وأبيه علي مدار السنين الماضية من لحظة الفراق الكبري بينهم بسبب اخوته. فبسبب الجفاف الواسع الذي تنبأ به يوسف والذي طال البلاد خارج مصر بما فيها فلسطين، أرسل سيدنا يعقوب أولاده لمصر لكي يجلبوا بعض الحبوب ليعيشوا عليها لأن مصر في ذلك الوقت وبسبب تفسير حلم الملك من قبل يوسف وبطريقة علمية أصبحت هي الدولة التي لديها خزين ويقصدها الشرق والغرب. وهكذا نري أن الجفاف كان سببا في دخول إخوة يوسف مصر وتعرفه عليهم وبداية رحلة لقاء السحاب بينه وبين أبيه .

وبالفعل تعرف يوسف علي اخوته ولكنهم لم يتعرفوا عليه لأنه كبر وتغير. وأدار يوسف الموقف بحنكة وحكمة عالية وذكاء عال لكي يجلبوا له توأم روحه بنيامين الذي لم يكن معهم وكانت الخطة أن يعود اخوته مرة أخري ومعهم بنيامين ومعهم ابيه. ولكي تكتمل الخطة أرسل يوسف قميصه مع اخوته ليعطوه لأبيه يشم فيه رائحة يوسف ويطمأن قلبه بعد أن علم



يوسف من اخوته بطريقة غير مباشرة بفقدان بصر أبيه بسبب البكاء علي فراق يوسف .

عليك أن تتخيل كم من الوقت والأيام التي مرت لكي ينفذ يوسف خطته في عودة اخوته إلي ابيهم ثم عودتهم مرة أخري إلي مصر ومعهم بنيامين وابيه ليتم اللقاء العائلي المنتظر بعد سنين عجاف علي قلبه طوال. وبالفعل مرت الأيام الطويلة وعاد اخوته جميعا مع أبيهم وزوجة أبيهم إلي مصر ليعلن يوسف عن نفسه لأخوته الأحد عشر وأبيه. وهنا سجد له الجميع وتحقق الحلم الذي رآه وهو صغير والذي أخبر به أبيه يعقوب عندما حلم بأن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر يسجدون له.

وكان لقاءً مهيبا للجميع، فرح به الجميع حتي بكوا من الفرحة. وندم فيه الأخوة عما فعلوا وغفر لهم يوسف ما فعلوا. وفرح الأب بعودة العائلة ولم الشمل بعد سنين عجاف ورأي يوسف أبيه بعد عذاب الفراق، واجتمع شمل يوسف وبنيامين اخيه وحبيبه من الأب والأم .

وهكذا نري أن الابتلاءات قد تكون سببا للكرامات شريطة الايمان بالله والقضاء والقدر أيًا كان نوع وحجم المحن طالما نحن في معية الله العزيز الغفور الحكم العدل الرحمن الرحيم.

رحم الله سيدنا يعقوب وسيدنا يوسف وجميع الأنبياء والمرسلين وصلي اللهم عليهم وسلم تسليما كثيرا .




موسى
عليه السلام

الفصل السابع

سيدنا موسي

"القوة والحكمة والنبوة وكليم الله"

أن تُبتلي في فترة محددة من عمرك فهذا قد يكون مقدورا عليه حتي يزيح الله الغمة أو يتعود عليها صاحبها ويتأقلم. أما أن تبتلي في معظم فترات عمرك من الصغر حتي الكبر فهذا شيء عضال لا يقدر عليه معظم البشر. وأما أن تبتلي في جسدك، وعائلتك ودين قومك، وأن تقف أمام أشد جبابرة العالم وأقواهم علي سطح الأرض فهذا شيء لا يقدر عليه إلا الأنبياء والمرسلين. وهذا ما حدث مع نبي من الأنبياء المقربين إلي الله، نبي كريم هو كليم الله، نبي أرسله الله لقوم هم من أشد عباد الله مكرا وعنادا وجحودا. والنبي الكريم هو سيدنا موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. وقومه هم بنو إسرائيل. والجبار المتكبر هو فرعون والذي يظن أنه رمسيس الثاني.

دخل أبو الأنبياء سيدنا ابراهيم هو وزوجته سارة إلي مصر أيام الجدب وخرجا منها سالمين مكرمين ومعهم جارية هدية وهي السيدة هاجر التي أصبحت زوجة سيدنا إبراهيم بعد ذلك وأم سيدنا اسماعيل جَد سيدنا محمد. ولم تمر حوالي ١٠٠ عام حتي دخل مصر سيدنا يوسف غلاما صغيرا في قصة مؤلمة ولكنها انتهت بفضل الله بدخول أبيه سيدنا يعقوب إلي مصر هو وأولاده الأحد عشر وأولادهم بعد حوالي ١٥ سنة من دخول سيدنا يوسف لينعموا بالعيش المكرم وليمارسوا شعائر دينهم بحرية وسط



المصريين في عهد الهكسوس تحت رعاية سيدنا يوسف الذي كان من كبار رجال الدولة.

ثم مرت حوالي ٤٠٠ عام علي دخول بني اسرائيل (بني يعقوب) مصر كونوا فيها ذرية هائلة تقدر بحوالي ٦٠٠ ألف من ذرية يعقوب تعيش بين المصريين. وفي أواخر هذه الفترة ونتيجة لتحول الحكم إلي فرعون مصر رمسيس الثاني تحولت حياة بنو اسرائيل من اليسر إلي العسر وأصبحوا مكروهين من الملك وحاشيته فنالوا منه كل أنواع العذاب حتي وصل الأمر بقتل أولادهم من الذكور فور ولادتهم خشية أن يخرج منهم ولد يقضي علي حكم فرعون حسب تفسير الرؤيا التي رآها وفسرها له أحد الكهنة.

وهنا كان ميلاد سيدنا موسي بن عمران بن لاوي (الأخ الأكبر لسيدنا يوسف) بن سيدنا يعقوب ليعيش في كنف فرعون حتي خرج من مصر في شبابه خائفا يترقب من بطش فرعون به بعد أن قتل أحد المصريين بدون قصد دفاعا عن واحد استنصره من بني إسرائيل ضد أحد المصريين. وخرج موسي من مصر مهرولا حتي وصل إلي مدين ليعيش فيها ويتزوج ثم يعود مرة اخري الي مصر بعد أن أوحي له الله وكلمه وأمره أن يخرج بني اسرائيل من مصر بعد أن يواجه فرعون بكل ظلمه وعدوانه.

وهكذا نري أن سيدنا يوسف هو الذي كان وراء ترك بني اسرائيل بيت المقدس ودخولهم مصر وأن سيدنا موسي هو الذي كان وراء خروجهم من مصر إلي بيت المقدس بفلسطين. وإذا نظرنا إلي قصة حياة سيدنا يوسف وسيدنا موسي سنجد أن معظم أحداث كلا منهما كانت في مصر وأن كلاهما تعرض إلي ضغوط نفسية هائلة في حياته خاصة في مرحلتي الصبا والشباب.

كانت أول لحظة للضغط النفسي لسيدنا موسي لحظة ميلاده. صحيح أنه كان رضيعا لا يدري ما يحدث له ولكن كانت أمه وأبيه عمران يشعران بالقلق والخوف والرعب من قتله من قبل رجال فرعون كما حدث من جميع المواليد الذكور بسبب الرؤيا التي رآها فرعون وفسرها له أحد الكهنة عندما تنبأ بخروج طفل من بني اسرائيل يقضي علي حكم فرعون.



وألقت أم موسي به في النيل في قفص أمر الله أن يستقر أمام السيدة آسية زوجة فرعون لتأخذه وتطلب من فرعون أن تربيه في القصر بمثابة ولد لهما فهما بلا أولاد. ويشبه ذلك ما حدث مع سيدنا يوسف. فكلاهما احتضنه بيت الملك سيدنا يوسف وهو صبي وسيدنا موسي وهو وليد. ولكن الملك الذي احتضن سيدنا يوسف كان مؤمنا ولكن كانت زوجته عدوة له بعد ذلك. والملك الذي احتضن موسي كان غير مؤمن له ولكن زوجته كانت مؤمنة به. وسيدنا يوسف كان في مصر وحيدا في بدايته أما سيدنا موسي فكان وسط أهله من البداية.

وكانت الانفراجة الأولي لأول ضغط نفسي علي سيدنا موسي وهو رضيع بأن قبل فرعون عرض زوجته آسية لأنه كان يحبها وسمح له بأن يعيش في قصره وأن يرضع من صدر أمه بعد أن سهل الله ذلك الأمر وقدره ثم سمح لموسي بأن يتصرف كأحد أفراد العائلة عندما كبر. وهكذا تربي موسي في قصر فرعون وأصبح من رجال القصر وأعطاه الله الجسد الفارع القوي والعلم والحكمة. ورغم كل ذلك كان سيدنا موسي يعاني من صعوبة في نطق بعض الكلمات (يُتهته) في بعضها كما أن بشرته كانت سوداء.

وكانت ثاني لحظة شعر فيها سيدنا موسي بضغط نفسي هائل عندما قتل بدون قصد أحد المصريين عندما استنصره أحد من بني اسرائيل علي مصري كان بينهما شجار. فلما وخذ سيدنا موسي المصري بخفة ليبعده مات الرجل علي الفور من فرط قوة سيدنا موسي. اغتم جدا سيدنا موسي وبات الليل قلقا وخائفا ومتوقعا القبض عليه في أي وقت لأن قتل مصري من قبل اسرائيلي في ذلك الوقت جرم كبير مهما كان القاتل خاصة أن موسي كان يعلم بكره فرعون له. وفي الصباح الباكر خرج موسي فارا من مصر بعد أن تكرر الموقف مع نفس الرجل الذي استنصره ولما رفض كشف الرجل عما فعله بالأمس. وبالفعل وصل الخبر إلي قصر فرعون الذي قرر القبض علي موسي وقتله فورا. ولما علم بذلك أحد أصدقاء موسي وهو رجل كان قد كتم ايمانه جري علي سيدنا موسي ليخبره بقرار القصر.

خاف سيدنا موسي وفر هاربا من مصر لا يدري إلي أين. ترك أمه وابيه وأهله وعشيرته وحياة القصور وأمه الثانية آسية وخرج علي غير هدي دون أن



يصطحب معه أي مال ولا طعام ولا راحلة. خرج خائفا يبحث عن الأمان. ولكن كل ذلك كان مقدرا من الله حتي تحين ساعة الوحي الكبري واعلان النبوة في مدينة مدين التي تقع بالقرب من مدينة تبوك بالسعودية بالقرب من الأردن حاليا.

وكانت لحظة الانفراجة الثانية عندما وصل سيدنا موسي في نهاية رحلته إلي مدينة مدين ليستريح تحت جذع شجرة عندما رأي بئر يرتوي منه الناس وأغنامهم. ولقدر أراده الله لسيدنا موسي قام ليساعد فتاتين في الحصول علي حصتهما في المياه، فتولدت قصة جميلة انتهت بزواجه من احدي الفتاتين ليبدأ حياة عائلية جديدة في مدين مع حماه شعيب لفترة ١٠ سنوات كاملة مهرا لزوجته. وكانت هذه الفتاة ابنة لنبي الله شعيب الذي بعثه الله لأهل مدين بسبب عبادتهم لشجرة الأيك وغشهم في الموازين.

ثم تأتي الانفراجة الثالثة لسيدنا موسي عندما كلمه الله في الطور. فبعد ١٠ سنوات في الغربة بعيدا عن أهله شعر بالحنين الجارف نحو أهله في مصر فاستأذن حماه بالرحيل إلي مصر وبالفعل وافق حماه فخرج تجاه مصر ومعه زوجته وابنه واغنامه بعد أن تعلم الرعي في مدين. وعبر البحر هو وأهله وساروا في الصحراء حتي وصل الي جبل الطور في سيناء ليرتاح قليلا. وإذا بالمعجزة الكبري تحدث عندما نادي عليه الله وكلمه عند النار لتبدأ مرحلة جديدة في حياة سيدنا موسي بعد أن عرف أنه نبيا ومرسل إلي فرعون وملئه ليخرج بني إسرائيل من مصر. وكانت لحظة فاصلة شعر فيها سيدنا موسي بالخوف في بادئ الأمر من هول اللحظة ثم شعر بالراحة والاطمئنان خاصة عندما أراه الله بعض الآيات مثل تحول العصا إلي حية وتحول يديه من اللون الأسود (وهو لون بشرة سيدنا موسي) الي اللون الأبيض. وارتاح أكثر عندما وافق الله علي جعل سيدنا هارون الموجود حاليا في مصر رفيقا لسيدنا موسي في دعوته أمام فرعون. وأكمل سيدنا موسي المسير ودخل مصر مرة أخري.

وما أن حدث اللقاء الأول بين سيدنا موسي وأخيه هارون وفرعون مصر حتي بدأت مرحلة جديدة من حياة سيدنا موسي مليئة بالكره والعداء والتهديد من فرعون وملئه. ولكن الله كان يقف بجوار سيدنا موسي ويوحي إليه ما



يفعل في محاورة ومواجهة فرعون لكي يتغلب علي بطشه. فعندما طلب فرعون آيات بينات من موسي وأظهرها موسي بوحي من الله وهي نفس الآيات التي رآها في مدين من تحول العصاة الي ثعبان وتحول لون يده من الأسود الي الأبيض، ثار فرعون بدلا من أن يؤمن واتهمه بالسحر وطلب منه عقد مواجهة مع سحرة البلاد وهو لا يعلم أن ذلك بداية نهايته وبأن رؤيته التي فسرها له كاهنه من ٤٠ عاما سوف تحدث هذا العام. ووافق سيدنا موسي علي هذا التحدي الكبير.

وجاءت الانفراجة الكبري والبرهان المبين فقد انقلب السحر علي الساحر وأيقن سحرة فرعون بأن موسي ليس بساحر بل هو بنبي مرسل فآمنوا به علي الفور ولم يتراجعوا عن ايمانهم رغم تهديد فرعون لهم علي الملأ بقطع ايديهم وارجلهم عن خلاف. وانقلب الموقف تماما لصالح سيدنا موسي وهارون. وهنا اشتاط فرعون غضبا وأمر بتعذيب بني اسرائيل والنيل منهم. وكان الرد أن أرسل الله علي فرعون وقومه آيات بينات تعذبهم وتخيفهم لعله يعود الي صوابه. فقد أرسل عليهم القراد والقُمل في بيوتهم وفرشهم والدماء والضفدع في نيلهم. ولكن كل ذلك لم يزد فرعون إلا عنادا وتكبرا وتجبرا وتهديدا بإيذاء بني اسرائيل.

وهنا حدثت انفراجة أخري عندما أوحي الله لسيدنا موسي أن يخرج مع بني اسرائيل في المساء بعيدا عن بطش فرعون الي سيناء ومنها الي فلسطين. وفي الصباح ندم فرعون عن قراره في طرد بني اسرائيل وعدل عن قراره لكي يبقوا تحت إمرته عبيدا يفعل فيهم ما يشاء، أمر بتجميع جنوده من كل مكان ويخرجوا فورا لقتل موسي وقومه قبل أن يفلتوا من يديه للأبد.

وما أن وصل موسي وقومه الي البحر الأحمر في جنوب سيناء حتي رأوا فرعون وجنوده قادمين للنيل منه ومن جميع من معه والذين تقدر اعداهم بنصف مليون شخص. وهنا بلغت القلوب الحناجر وخاف بنو اسرائيل وتأكدوا من قتلهم علي يد جنود فرعون فالبحر أمامهم والعدو خلفهم. بدأوا يلقوا اللوم علي سيدنا موسي ولكنه طمأنهم وأخبرهم أن الله معه ولن يتركه.



وبالفعل ما أن اقترب جنود فرعون جدا من موسي وقومه حتي أمر الله سيدنا موسي بضرب البحر الأحمر بعصاه لينشق ويخلق طريقا يابسا لهم يعبروا فيه إلي سيناء بلا خوف. وبالفعل تحول البحر تحت أقدامهم إلي يابس. ومشي بنو اسرائيل متعجبين من مما حدث ووقف فرعون متعجبا مما يري. ولما أراد أن يخوض وراءهم تحول اليابس إلي أمواج ابتلعته أمام بني اسرائيل ليموت غرقا ولكن الله أبقي جسده عبرة حتي يومنا هذا في المتحف المصري بالقاهرة.

وهكذا جعل الله موسي سببا في اخراج بني اسرائيل سالمين غانمين بعيدا عن بطش فرعون وملئه بل أمات فرعون نفسه لتبدأ مرحلة جديدة في حياة سيدنا موسي مع بنو اسرائيل كلها تعب في تعب وصد في صد وافتراء في افتراء منهم علي ربهم رغم كل ما رأوه من معجزات وآيات كبري.

ومن المواقف شديدة الصعوبة علي سيدنا موسي عندما ترك قومه في سيناء وذهب لميقات ربه لثلاثين يوما ليأخذ الأوامر من الله علي الألواح عند جبل الطور ثم امتد الوقت إلي عشرة أيام أخري. وهناك طلب سيدنا موسي من الله أن يراه. وهنا طلب الله منه أن ينظر إلي الجبل فسوف يتجلى عليه ليراه. وما أن تجلي الله جل جلاله ببصيص من نوره علي الجبل حتي انهار الجبل وأصبح دكاً دكا وخرّ سيدنا موسي صعقا من هول المفاجأة. ولما أفاق قضي ١٠ أيام أخري في معية الله. ولما عاد سيدنا موسي والألواح معه وجدهم يعبدون العجل الذي صنعه لهم السامري من الذهب الذي كان معهم فاستشاط غضبا وألقي الألواح وهدم العجل ولام أخاه وغضب عليهم غضبا شديدا. فبعد كل ما حدث أمامهم عبدوا العجل في غياب سيدنا موسي رغم وجود سيدنا هارون بينهم.

وبعد كفر بني إسرائيل هكذا عاد موسي الي الله عند الجبل مرة أخري ومعه ٧٠ رجلا من قومه هم أكثرهم إيمانًا ليعتذروا إلي الله نيابة عن ضلال بني اسرائيل. وهنا أنزل الله عليهم غمامة تغطيهم من حر سيناء الشديد حتي ينتهي لقاء سيدنا موسي بربه بالقرب منهم دون أن يروه ولكن كانوا يسمعوا كلام سيدنا موسي. وبعد أن أنهي كلامه مع الله وعاد إليهم اشترطوا عليه أنهم لن يؤمنوا حتي يروا الله جهرة. وهنا غضب سيدنا موسي منهم غضبا



شديدا من هؤلاء الناس بهذه القلوب الغليظة. فصعقهم الله وماتوا ثم أحياهم مرة أخري لعلهم يرشدون.

ومن المواقف الصعبة التي مرت علي سيدنا موسي وعاتبه الله عليها عندما كان يخطب في بني اسرائيل بعد خروجهم من مصر وهم في طريق العودة. فقد خطب سيدنا موسي خطبة مؤثرة حتي بكي بنوا اسرائيل غلاظ القلوب مما يدل علي التأثير الكبير للخطبة عليهم. فما كان من أحدهم إلا أن سأله عن أعلم الناس في الأرض. فجاء رد سيدنا موسي علي الفور وبدون تفكير "أنا". وهنا غضب الله وعاتبه وأخبره أن هناك من هو أعلم منه. وطلب منه أن يذهب ليقابل هذا المُعلم ويتعلم منه عند مجمع البحرين ، والذي يُظن أنه عند التقاء خليج العقبة والسويس عند راس محمد.

وبالفعل امتثل سيدنا موسي لأمر الله وذهب في طريق طويل مع غلامه يوشع (الذي خلفه في النبوة بعد وفاته) حتي أذن الله وقابلا الرجل الصالح سيدنا الخضر ليسيرا معه في محطات انسانية تعلم منه فيها فلسفة وحنكة وحكمة كل موقف. وتعلم سيدنا موسي الكثير من الحكمة وتيقن أن هناك من هو أعلم منه حتي وإن لم يكن نبيا طالما منحه الله هذا العلم من لَدُنه. وعاد سيدنا موسي إلي قومه ومعه يوشع مرة أخري ليكمل رحلة العودة معهم إلي سيناء حتي يتم رسالته.

وهم في رحلة العودة في صحراء سيناء الخالية من شجر يقي من الشمس، وليس فيها طعام ولا ماء، أنزل الله عليهم المن والسلوى وظللهم بالغمام. والمن مادة يميل طعمها إلى الحلاوة وتفرزها بعض أشجار الفاكهة. و السلوى هو نوع من أنواع الطيور يقال إنه (السمان). وحين اشتد بهم الظمأ إلى الماء، ضرب لهم موسى بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا من المياه. وكان بنو إسرائيل ينقسمون إلى ١٢ سِبطاً (فريق). فأرسل الله المياه لكل مجموعة.

ورغم كل هذا الإكرام وكل هذه الحفاوة، تحركت في النفوس التواءاتها المريضة. واحتج قوم موسى بأنهم سئموا من هذا الطعام، واشتاقت نفوسهم إلى البصل والثوم والفول والعدس، وكانت هذه الأطعمة أطعمة مصرية تقليدية. وهكذا سأل بنو إسرائيل نبيهم موسى أن يدعو الله ليخرج



لهم من الأرض هذه الأطعمة. وعاد موسى ينبهم إلى ظلمهم لأنفسهم، وحنينهم لأيام هوانهم في مصر، وكيف أنهم يتبطرون على خير الطعام وأكرمه، ويريدون بدله أدنى الطعام عما بين يديهم.
واستمرت العلاقة بين سيدنا موسي وبنى اسرائيل هكذا بين ايمان وجحود وطلب آيات بينات شريطة أن يعودوا لربهم. وفي كل مرة يعودوا ينقضوا وعدهم. ولما اقتربوا أخيرا من ليفتحوا بيت المقدس الذي كان يحتله العمالقة طلب منهم سيدنا موسي أن يقاتلوا العمالقة ليفتحوا بيت المقدس ولكنهم امتنعوا عن طاعة سيدنا موسي ولم يُطعه في القتال من كل هذا العدد الهائل سوي أخوه هارون ويوشع. وهنا غضب موسي عليهم غضبا شديدا ودعا الله عليهم وتأكد أنه ليس في هذا الجيل أي خير. ولذلك حكم الله عليهم بالتيه في سيناء لمدة ٤٠ عاما فكلما رحلوا عادوا لنفس الموقع الذي بدءوا فيه فشعروا بالضياع.
وأثناء التيه مات سيدنا موسي وسيدنا هارون وقادهم سيدنا يوشع بعد التيه ليفتح لهم بيت المقدس بعد عدة أجيال عندما حاصروا بيت المقدس وقاتلوا العماليق وقضوا عليهم. وبدأت مرحلة أخري من حياة بني اسرائيل التي لم تخلوا من ارتداد ونقض للعهود بقلوب صلدة كالحجارة حتي انهم قتلوا العديد من الأنبياء. وأرسل لهم الله بعد ذلك أنبياء منهم سيدنا الياس وذو الكفل ثم الملك طالوت ثم النبي داوود ثم ابنه سليمان وسيدنا يحيي وزكريا حتي انتهي الأمر بسيدنا عيسي عليه السلام وكلهم من ذرية سيدنا ابراهيم ويعقوب وآل عمران أب سيدنا موسي.
وهكذا نري أن سيدنا موسي الذي ذكر الله قصته بالتفصيل في مواضع مختلفة في القرآن، علي عكس قصة سيدنا يوسف التي ذكرها القرآن في سورة واحدة باسمه، قد تحمل الكثير في مولده وصباه وشبابه من تعنت وظلم وغربة وتهديد من فرعون وقومه وجحود ونكران من قومه بني اسرائيل ولكنه كان دائما ما يتحمل من أجل الدين ومن أجل تحقيق كلمة الله في الأرض.
رحم الله سيدنا موسي وجميع الأنبياء والمرسلين وصلي اللهم علي سيدنا محمد وسلم تسليما كثيرا.




أيوب
عليه السلام

الفصل الثامن

سيدنا أيوب

"العبد الصابر الحامد علي القضاء والقدر"

وقد أُبتلي سيدنا ايوب ابتلاء عظيما ولكنه صبر صبرا جميلا ضُرب به المثل في كل زمان ومكان حتى أصبح كل من يطلب الصبر يتمني أن يكون صبره من صبر أيوب. وسيدنا أيوب من نسل سيدنا ابراهيم وجده سيدنا اسحاق وولد وترعرع في بلاد حاران التي عاش فيها فترة طويلة سيدنا ابراهيم قبل أن ينتقل الي فلسطين ومكة. وزوجة سيدنا ايوب هي السيدة "ليا" أو "رحمة" والتي هي أيضا من نسل سيدنا إبراهيم وجدها سيدنا يوسف بن يعقوب ابن إسحاق. وسيدنا أيوب هو أحد أنبياء الله الذين أوحي إليهم وارسله الله إلي قوم حاران وهم من الروم ليهديهم الي سواء السبيل. وعرف سيدنا أيوب بين قومه بالغني ولكن أيضا بالتقوي والورع والكرم وطاعة الله طاعة ليس لغرض دنيوي ولكن مخلصا وجهه لله كجده إبراهيم .

ورغم كل هذه النعم الظاهرة والباطنة التي قد تُلهي صاحبها عن ذكر الله والتقرب اليه، إلا أن سيدنا أيوب كان يتقرب إلي الله كل يوم بهذه النعم. فكان يحمد الله أناء الليل والنهار ولا يتوقف أبدًا عن عبادته وشكره بقلب مملوء بالحمد والشكر والتواضع. كان كريما مع الفقراء والمساكين واليتامى. يفيض عليهم بما رزقه الله. وكلما أفاض عليهم زاد الله في رزقه مرات ومرات فيقوم هو بشكر الله تعالي بكل حواسه. وعُرف بين الناس واشتهر بكرمه فكان بابه مفتوحا لكل محتاج. وأصبح مشهورا بكرمه وزهده وحمده لله حتى أن الله أمر الملائكة بالدعاء له في السماء العلا مما أغاظ ابليس اللعين



الذي قرر الحرب على سيدنا أيوب حقدا عليه فقرر الانتقام منه ظننا منه أنه بزوال النعم عن أيوب يتوقف شكره وبالتالي يكشف سبب تقربه إلي الله .

وبالفعل أعلن ابليس الحرب على سيدنا أيوب بعد أن تعلل بأن سبب تقرب ايوب من ربه وفي حُسن عبادته هو بسبب النعيم الذي رزقه الله به فإذا ذهب هذا النعيم سوف يتوقف أيوب عن عبادة ربه، أي أنها عبادة وتقوي مصلحة لمنفعة شخصية. هكذا كان مدخل ابليس لتحدي سيدنا أيوب أمام الله لكي يبدأ بتجريده من كل النعم. ولأن الله يعلم الأرض التي نبتت منها جذور وسيقان وأوراق ايمان وتقوي سيدنا أيوب ويعلم أنه مخلص في عبادته وتقواه، وأن السبب في تقربه إلي الله هو الشكر على النعم وليس في الحفاظ عليها والزيادة فيها رغم أنها نوع من أنواع العبادة، فقد ترك الله ابليس في حربه على سيدنا أيوب ليعلم هذا الشيطان الرجيم درسا قاسيا في الإخلاص في الإيمان والثبات عليه رغم كل الشدائد وذلك علي يد عبده أيوب.

وبدأ الشيطان في حربه على سيدنا يعقوب في ضربات متتالية وعن غيظ وحقد وتحدي. وكانت أول الضربات انهيار الثروة الهائلة التي كان يمتلكها سيدنا أيوب. فجأة هلك الزرع وجف الماء وبارت الأرض ونفقت كل الماشية والأغنام والجمال والمرعي التي كان يمتلكها سيدنا أيوب بالآلاف المؤلفة. وعندما وصلته هذه الأخبار الصادمة، لم تزده إلا شكرا لله وخر ساجدا لله يحمده على ما أعطي وما منع وما أخذ. اغتاظ الشيطان من رد فعل سيدنا أيوب فقد كان يتوقع أنه انهيار إيمانه بعد أن يَمُسُه في ثروته. واغتاظ الشيطان من قوة ايمان سيدنا أيوب وفرح الله سبحانه وتعالي بإيمان عبده .

ثم جاءت الضربة الثانية من الابتلاء الكبير على سيدنا أيوب، والتي نالت أولاده قرة عينه. وكان الله قد رزق سيدنا أيوب عليه السلام بالعديد من الأولاد والبنات. كانوا يملؤون عليه حياته ويحمد الله عليهم وعلى صلاحهم وبرهم وطاعتهم لله وله ولزوجته. وبعد أيام من هلاك ثروته بالكامل وصل سيدنا أيوب الخبر المفجع وهو هلاك جميع أولاده مرة واحدة. وهنا توقع



الشيطان أن ينهار سيدنا أيوب تماما ويشكو الله أو على الأقل يشتكي لله، ولكنه فوجئ بأن سيدنا يعقوب يخر ساجدا لله يشكره ويحمده بقلب عبد مخلص ولسان شاكر علي هلاك أولاده فالله هو الذي أعطي وهو الذي أخذ. واغتاظ الشيطان من قوة ايمان سيدنا أيوب وفرح الله سبحانه وتعالي بإيمان عبده .

ثم جاءت الضربة الثالثة والابتلاء الأعظم والثالث على سيدنا أيوب وهي مرض جوارحه التي كان يعبد بها الله ولم يتوقف عن عبادته حتي بعد الابتلاء الأول والثاني. فوجئت زوجة سيدنا أيوب وأهله وأصدقائه وجيرانه بالمرض يمس جسده رويدا رويدا حتى حل المرض بكل أعضاء جسده جزءا جزء ما عدا قلبه ولسانه ليظل يشكر بهما الله سبحانه وتعالي. وازدادت شدة المرض حتى أصبح قعيدا لا يستطيع الحركة ولا العمل حتى أصبح لا يستطيع أن يخدم نفسه أو يقضي حاجته. وازدادت شدة المرض وطالت فترته لسنوات حتى أصبح الناس يمتنعون عن زيارته ما عدا زوجته التي لم تتركه لحظة واحدة واثنين من أصدقائه المخلصين. ورغم شدة المرض وآلامه ورغم احتياجه للمأكل والمشرب ورغم أن زوجته التي أصبحت تعمل في بيوت القوم لكي تنفق على زوجها وعلى نفسها، إلا أن سيدنا أيوب لم يُرد أن يطلب الشفاء من الله ليزول هذا الكرب الشديد الذي طال عليه وانعكس على زوجته. ولم يكن ذلك إلا حياء من الله. واغتاظ الشيطان من قوة ايمان سيدنا أيوب وفرح الله سبحانه وتعالي بإيمان عبده .

وعندما شعرت زوجته بمدي الآلام التي يعاني منها زوجها سيدنا أيوب والحال الذي وصل اليه بيتها من قلة الحيلة بعد أن نفذت كل الطرق في الحفاظ على أقل دخل للمنزل، طلبت من زوجها أن يدعو ربه لكي يزول هذا الكرب وهذه الهموم خاصة أنه قد صبر على حاله هذا ٧ سنوات عضال. ولكن كان رد سيدنا أيوب علي زوجته ردا مليئا بالإيمان والتقوى والتسليم بقضاء الله. طلب سيدنا أيوب من زوجته بأن تصبر على قضاء الله فكيف له أن يطلب من الله رفع البلاء بعد ٧ سنوات من الكرب وهو الذي عاش في نعيم الله لمدة ٧٠ عاما، فقد استحي أن يدعوا الله وهو الذي اكرمه بما لم يرزق به أحد من عباده. وصمتت زوجته السيدة ليا "رحمة" وابتسمت



وصبرت. واغتاظ الشيطان من قوة ايمان سيدنا أيوب وفرح الله سبحانه وتعالي بإيمان عبده .

واستمر الكرب من ضيق في الرزق وما ترتب عن هلاك الأولاد والمرض الشديد لمدة ١٠ سنوات عضال أخري دون أن يشتكي سيدنا أيوب من أي من هذه الكروب بل استمر في شكر الله وحمده بلسانه وقلبه اللذان لم ينالهما المرض فقد حفظهما الله له. ويئس ابليس اللعين من الاغواء بسيدنا أيوب وزوجته التي ضربت المثل للزوجة المخلصة والمؤمنة التي لم تتخل أبدًا عن زوجها طيلة ١٨ عاما رغم خسرانه كل ما يملك حتى صحته ولم يعد لديه ما يغري أي زوجة للبقاء ليلة واحدة مع زوجها. وصبرت حتى وصل الأمر إلى أن قصت شعرها وباعته لكي تشتري طعاما لها ولزوجها بعد أن ضاقت عليها الأرض بما رحبت مما اغضب سيدنا أيوب وتمني لو لم تفعل .

وفجأة وبعد سنين طوال جاء الفرج من الله سبحانه وتعالي على سيدنا أيوب وزوجته. فكعاداتها اصطحبته إلى الخلاء ليقضي حاجته وتركته لتقضي بعض اعمال المنزل حتى ينتهي وتعود إليه. تأخرت عليه قليلا فشعر سيدنا أيوب بالحاجة إليها لأنه كان غير قادر علي الاعتماد على نفسه. وأثناء هذا الشعور والحاجة إلي من يتكأ عليه في الخلاء دعا ربه دعاء غير مباشر بأن يشفيه. ذكر فقط لله حاله ومس الشيطان له وأنه أرحم الراحمين. وكانت هذه أول مرة يفضفض فيها سيدنا أيوب عن ابتلاءه مع ربه منذ الابتلاء الأول. ولم يكن دعاء مباشر ولكن مجرد فضفضة عن استحياء لله عما مسه من ضُر. وهنا جاء الانفراج الكبير من السماء. طلب الله من سيدنا أيوب أن يضرب برجله الأرض تحته قدميه. ورغم وهنه إلا أن سيدنا أيوب استطاع أن يضرب برجله الأرض ليتفاجأ بينبوعين من المياه تتفجر تحت قدميه، عين يغتسل منها وعين يشرب منها. وهنا فوجئ سيدنا أيوب بعد ارتوائه بذهاب الآلام تماما والشعور بالصحة تدب في بدنه رويدا رويدا حتى أصبح معافي تماما من كل مرض وعادت إليه صحته وملامحه أكثر جمالا وبهاء عما كانت عليه منذ ١٨ عاما. وعلي الفور شكر سيدنا ايوب ربه وحمده وفرح برحمة الله وفضله. واغتاظ الشيطان من قوة ايمان سيدنا أيوب وفرح الله سبحانه وتعالي بإيمان عبده .



وعندما عادت زوجته ليا لتأخذه الي بيتهما بعد قضاء حاجته، فوجئت بزوجها ماثل أمام عينها بملامحه الجميلة وصحته وبهاء وجهه قبل المرض حتي انها لم تتعرف عليه في بادئ الأمر. كانت المفاجأة جميلة وعظيمة ولكنها حمدت الله علي فضله وعلى رحمته على زوجها أيوب الذي صبر صبرا شديدا وجميلا وطويلا على مرضه وعلى فقدان ماله واولاده. وعاد سيدنا أيوب وزوجته الي البيت فرحين بما آتاهم الله جزاء علي صبر أيوب وعلي صبرها معه. وكما هبطت الابتلاءات تباعا وسريعا على سيدنا ايوب منذ ١٨ عاما، فقد هبطت أيضا الانفراجات على سيدنا أيوب تباعا من السماء. فقد حلت البركة مرة أخري وسريعا في أمواله وأملاكه من الأرض والحرث والزرع والمرعي حتى تعجب الناس من تغير الحال من الفقر المدقع إلي سابق العصر والأوان. ثم رزق الله سيدنا أيوب بالأولاد وبارك فيهم حتى خرج منهم نبي من أنبياء الله هو سيدنا ذو الكفل والذي سُمي بذلك لشهرته بكفالة الأيتام والفقراء والمساكين والمحتاجين ليكمل مسيرة والده سيدنا أيوب عليه السلام.

وهكذا نري كيف يكون البلاء وكيف يكون الصبر وكيف تكون رحمة الله ولو بعد حين. وكيف أن ابتلاء الله لعباده ليس كرها لهم ولكن حبا لهم وفيهم، فالعبد المؤمن هو أكثر العباد ابتلاء. فقد أُبتلي سيدنا ايوب ابتلاء عظيما ولكنه صبر صبرا جميلا ضُرب به المثل في كل زمان ومكان حتى أصبح كل من يطلب الصبر يتمني أن يكون مثل صبر أيوب.

اللهم ارحم سيدنا أيوب عليه السلام والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم وجميع الأنبياء والمرسلين.




عيسى
عليه السلام

الفصل التاسع

سيدنا عيسى

"النبي الذي صعد حيا إلى السماء"

كان لمصر نصيب كبير من بركة الأنبياء فكان أول من زار مصر سيدنا ابراهيم وزوجته السيدة سارة وكان آخرهم سيدنا عيسى وأمه السيدة مريم وبينهم سيدنا يعقوب وسيدنا يوسف وسيدنا هارون وسيدنا موسي. ومن مصر كانت هناك سيدتان تزوجا نبيين من أعظم الأنبياء. السيدة هاجر والتي أهداها ملك مصر إلى سيدنا ابراهيم أثناء زيارته لتكون وصيفة لزوجته السيدة سارة والتي تزوجها لاحقا لتنجب له سيدنا اسماعيل الذي جاء من ذريته سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكي السلام. والسيدة مارية والتي بعثها المقوقس حاكم الروم في مصر وقتها هدية للنبي محمد والذي تزوجها وأنجب منها ابنه إبراهيم والذي توفاه الله في سن مبكرة .

وعلي عكس الأنبياء الذين كانت اعمارهم طويلة مثل سيدنا أدم وسيدنا نوح التي وصلت إلى حوالي ألف عام، والأنبياء التي عمروا نسبيا مثل سيدنا ابراهيم واسحق ويعقوب وزكريا والذين زادت اعمارهم عن مائة عام، هناك من الرسل الذين لم تزد أعمارهم عن ٣٠ عاما مثل سيدنا يحيي وعيسى. أما سيدنا محمد فكان أوسط الأنبياء عمرا فقد رحل عن الدنيا وعمره حوالي ٦٣ عاما.

رغم الفترة القصيرة لعمر سيدنا عيسى وهي ٣٠ عاما، إلا أنه قد عانى الكثير منهم ولم يستطع أن يغير كثيرا فيهم ولم يؤمن به إلا عدد قليل



والحواريون. ورغم الفترة القصيرة التي عاشها سيدنا عيسى إلا أنه أحدث حراكا غير مسبوق في تاريخ البشرية ما زال مؤثرا حتى الآن حيث كانت رسالته تدعوا إلى الرحمة والود والغفران للأعداء قبل الأصدقاء. وكانت ولادة سيدنا عيسى معجزة خارقة أرادها الله لكي تكون شاهدا علي بني اسرائيل الذين اشتد بغيهم فسادهم الأخلاقي والمادي إلي أقصي درجة في هذا الوقت. وكان ذلك سببا في أن أرسل الله ثلاثة أنبياء مرة واحدة في وقت واحد لنفس القوم فقد أرسل سيدنا زكريا وابنه سيدنا يحيي (ابن أخت السيدة مريم). ومع أن الله قد أرسل أربعة رسل في وقت سيدنا إبراهيم وهم سيدنا إبراهيم نفسه وبن أخيه سيدنا لوط وبنيه إسماعيل واسحاق إلا أن كل واحد منهم كان لقوم مختلفين. وهذا وإن دل فإنما يدل علي مدي الفجر والبغاء الذي كان عليه بنو إسرائيل في هذه الفترة العصيبة من تاريخ البشرية.

وكانت معجزة سيدنا عيسى الأولي والكبري أنه وُلد من أمه مريم بدون أب فكان كلمة من الله أوحي بها الله إلي مريم وهي تتعبد في المحراب بالمعبد ببيت المقدس. ومريم أم سيدنا عيسى هي بنت السيدة حنة زوجة عمران. وكانت حنة قد اشتاقت إلى الأولاد فدعت الله أن يرزقها بطفل ونذرت هذا الطفل ليخدم مع الرهبان في بيت المقدس خاصة أن زوجها عمران كان رئيس الرهبان وكان رجلا تقيا هو وسيدنا زكريا علي خلاف باقي بنو إسرائيل الذين طغوا وأفسدوا في البلاد. وبالفعل استجاب الله للسيدة حنة وحملت ورزقها الله بطفلة اسمها مريم. ولكي تنفذ نذرها أسرعت على الفور إلى المعبد لتترك ابنتها مريم هناك رغم أنها كانت الحالة الأولي التي تعرض فيها بنت وليس ذكرا للخدمة الدينية في المعبد فقد كان الذكور فقط هم الذين ينذرون.



وهنا أراد سيدنا زكريا زوج أخت السيدة حنة (خالة السيدة مريم) أن يكفلها لأنه لم يكن لديه أولاد. ولما تنافس الرهبان على كفالة مريم في المعبد لجأوا إلي الطريقة التي كانوا يستخدمونها آنذاك ليحتكموا في أمرهم وهو القاء أقلامهم التي يكتبون بها. وبالفعل ألقوا الأقلام وكان الفائز هو قلم سيدنا زكريا فكان هو الذي كفلها وخصص لها مكانا مميزا في المعبد قريبا من المحراب.

وعاشت مريم في هذا المعبد مرحلة طفولتها وصباها تحت رعاية سيدنا زكريا. لاحظ الجميع اخلاص مريم الشديد في العبادة وصدقها المتناهي وحبها التقرب إلي الله بصدق شديد. وفوق كل ذلك لاحظ سيدنا ذكريا وجود فاكهة الصيف عندها في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فشعر أن هذه الفتاة الصديقة الصالحة ينتظرها مستقبل ديني كبير ولا يعرف ما هو. ولم تمر سنوات قليلة حتى حدثت المعجزة الإلهية الكبرى للسيدة مريم لتحمل في المسيح سيدنا عيسى وهي فتاه في عمر حوالي ١٥ عاما دون أن يمسسها بشر.

وعندما علم سيدنا زكريا بحمل مريم تعجب وتعجب أهلها المقربين فقد كان شيئا غريبا وفريا عليهم تماما. ولكن الله عضدها وطمأنها بأن الوليد سوف يدافع عنها ويخبر قومه وهو رضيع عن ولادته. وبالفعل تكلم سيدنا عيسى أمام أهلها خاصة أن بعض من بني اسرائيل لعنهم الله اتهموها في شرفها. وكانت كلمات ابنها عيسى قاطعة رغم كونه رضيعا وكانت أول كلمة نطقها هي "أنا عبد الله". وكانت تلك هي المعجزة الثانية بعد معجزة حمله وولادته بدون أب .

ويشبه خلق سيدنا عيسى خلق سيدنا آدم، إلا أن سيدنا عيسى خُلق من أم وبلا أب عكس سيدنا آدم الذي خلق بلا أب أو أم ولكن كلا منهما هو كلمة من الله. وقد يكون سيدنا أدم، والله أعلم، قد خُلق رجلا بالغا ولم يمر بمرحلة الطفولة والصبا كما حدث مع سيدنا عيسى. وخلق السيدة حواء أيضا كان من سيدنا آدم ولكن بدون أم. ومع أن خلق سيدنا آدم لم يشهده بشر ولا حتى السيدة حواء، إلا أن بني اسرائيل لم ينكروا طريقة خلق سيدنا آدم مع أنها غيبية ولكنهم بتعنتهم أنكروا خلق سيدنا عيسى رغم وجوده



بينهم ورغم علمهم بعفاف أمه السيدة مريم ورغم أن المولود نفسه كلمهم بكلام الرجل العاقل الحكيم. ولكن قلوبهم غلفها العناد والأنانية والكفر والعياذ بالله.

ولم تمر شهور من ولادة سيدنا عيسى حتى انقلبت الدنيا رأسا على عقب من قبل ملك الفرس عندما أخبره كهنته المجوس بميلاد طفل في فلسطين يهدد ملكه فأمر باستبيان الأمر بأن أرسل فوج بهدايا له ولأمه لكي يستبين الأمر. ولما علم بنو اسرائيل بذلك استقبلوا الوفد حتى يقوموا هم بقتل هذا الطفل بأنفسهم خاصة بأنهم كانوا لا يريدون أن يزاحمهم أحد في ملكهم وسيطرتهم على الناس وخاصة بعد أن علموا أن هذا الوليد الجديد هو نبي وجاء ليبشر بنبي بعده يدعوا إلى دين جديد. وبالفعل جمعوا أمرهم على قتل سيدنا عيسى وهو طفل بريء .

ولما علم يوسف النجار ابن خال السيدة مريم بذلك أخبرها بنية بنو إسرائيل. وهنا قرروا على الفور الرحيل عن بيت لحم بفلسطين خاصة أنها هي الأخرى شعرت بنفس الشعور والتربص بابنها الوليد. وبالفعل أخد يوسف النجار سيدنا عيسى وأمه وخرجوا من بيت لحم متوجهين إلى مكان آمن وبعيد عن حكم هيرودس الملك الروماني الذي كان يحكم بيت المقدس ويتحالف مع اليهود في قتل الأطفال خوفا على ملكه.

واتجه الثلاثة إلى مصر في رحلة عجيبة ومباركة تسمي رحلة العائلة المقدسة التي استمرت ما يقرب من ١٢ عاما قضوها متنقلين في مصر من سيناء الي البر الشرقي للنيل ثم إلى البر الغربي من شماله إلي جنوبه حتى أسيوط. وفي كل مكان توقفوا فيه كانت تحدث معجزات ببركة سيدنا عيسى .

وبعد أن علم يوسف النجار والسيدة مريم بموت هيرودس ملك فلسطين قرروا العودة بسيدنا عيسى إلي هناك. وبالفعل رحلوا عن مصر ووصلوا بلدة الناصرة وسكنوا هناك ولذلك سمي اتباع سيدنا عيسى بالنصارى. وعاش سيدنا عيسى في هذه المدينة وظهرت عليه علامات النبوة التي أذهلت كل من يعرفه. فقد كان ينبأ زملائه بما في بيوتهم وكانوا يتعجبون من ذلك. واستمرت هذه العلامات والمعجزات في الازدياد حتى وصل إلي عمر



الثلاثون. وهنا أوحي له الله بالنبوة و بأن يعلن عن نبوته ورسالته ويدعو بنو اسرائيل نهارا جهارا وباللين والحسني إلى عبادة الله الواحد الأحد وأن يتوبوا عن طغيانهم وفسادهم في الأخلاق والربا وقتل النفس واستعبادها .

وبالفعل تعرض سيدنا عيسى لكثير من المحن من قومه الذين رفضوا الإيمان به إلا قليل منهم اتبعوه. فلما أعلن سيدنا عيسى عن نبوته ورسالته لم يؤمن به من بنو اسرائيل سوي ١٢ فقط وهم الذين أطلق عليهم الحواريون. أما باقي بني اسرائيل فقد انقلبوا عليه وعادوه. ولم يتوقف الأمر على الكفر به ورسالته ولكن امتد إلى عدائه ومطاردته ومحاولة قتله بعد أن تحالفوا مع ملك الروم آنذاك ليقتله. وكان سيدنا عيسى صابرا عليهم وحليما حتى توارثنا عبارته المشهورة "من لطم خدك الأيمن اعطه خدك الأيسر". فرغم كل هذه العداءات من جانب اليهود ونكرانهم لنبوته وكفرهم به، إلا أنه لم ييأس وظل يدعوهم بكل السبل إلى العودة إلي الحق واتباع تعاليم الله ولكنهم أبدًا لم يتخلوا عن نكرانهم مثلهم كمثل أبائهم وأجدادهم من بني اسرائيل الذين اشتهروا بقتل الأنبياء منهم كلما اختلفوا معهم .

ورغم المعجزات المتعددة التي أوحي بها الله الي سيدنا عيسى ليبين قدرة الله وكدليل بين علي نبوته إلا أن قومه اضطهدوه ولم يؤمنوا به وأرادوا قتله. فقد أعطاه الله القدرة على إحياء الموتى، وعلى تشكيل الطين علي هيئة طير ثم ينفخ فيه ليصبح حيا، وأعطاه الله القدرة على السير فوق الماء، وعلى شفاء المرضي، وعلى التنبؤ بما لدي الناس من رزق ومتاع. ولم يكن ذلك مرة واحدة بل لمرات عديدة، ولم يكن في الخفاء ولكن كان في العلن على مرأي ومسمع من الجميع.

ورغم كل تلك المعجزات الخارقة إلا أن قومه ازدادوا عنادا وكفرا وتصميما على قتله بالاتفاق مع الرومان الذين كانوا يحتلوا بيت المقدس آنذاك. ورغم أن الله استجاب لدعاء سيدنا عيسى عندما طلب منه الحواريون أن ينزل عليهم مائدة من السماء لكي يتيقنوا من دعوته، ومع أن الله أنزل المائدة والتي كان يزيد فيها الطعام والشراب كلما أكل الناس من الفقراء والمرضي إلا أن ذلك لم يقنع بنو إسرائيل ولم يتنازلوا عن المطالبة بقتله. واستمروا في مطاردته حتى وجدوه مع الحواريين ليرفعه الله من وسطهم إلي السماء بعد



أن شبه الله علي اليهود والرومان أحد حواريه ليقتلوه بدلا من عيسى. وقد تنبأ سيدنا عيسى بما حدث بأن أحد الحواريين هو الذي سيصلب بدلا منه. ورفع الله سيدنا عيسى عنده حتى يعود مرة أخري ليقضي على المسيح الدجال في نهاية الزمان إن شاء الله.

وبهذا نري أن سيدنا عيسى رغم الفترة القصيرة لعمره وهي الثلاثون عاما والتي قضي نصفها تقريبا بعيدا عن بني إسرائيل، إلا أنه قد عانى الكثير منهم ولم يستطع أن يغير كثيرا فيهم سوي القليل وهم الحواريون الذين طلب منهم في آخر لقاء بينهم ليلة رفعه أن يستمروا على نهجه دون إسراف أو تقصير أو تشويه. وقد وعدوه ليلتها وعاهدوه بتنفيذ وصيته خاصة بعد أن غسل بيديه الشريفتين أيدي كل واحد منهم وجففها برداءه ليخدمهم بنفسهم لعلهم لا ينسوا ما وعدهم به ووعدهم له .

ولم تمر أكثر من ٥٨٠ عاما على رفع سيدنا عيسى حتى وُلد نبي آخر وهو النبي الوحيد من نسل سيدنا اسماعيل بن سيدنا ابراهيم والذي ولد في قريش في مكان ليس ببعيد عن بيت لحم. ولد سيدنا محمد الذي بشر به سيدنا عيسى لتبدأ مرحلة صراع جديدة بين النبي محمد وأهل قريش من ناحية وبينه وبين اليهود ومعهم الفرس والرومان من ناحية أخري. ولكن كان الرسول محمد كما بشر سيدنا عيسى هو خاتم الأنبياء والمرسلين من أبو الأنبياء سيدنا ابراهيم. ونجح سيدنا محمد نجاحا باهرا بفضل الله وإخلاص الصحابة من المهاجرين والأنصار والتُبع في ارساء دولة اسلامية كبيرة لتتمم ما جاء في صحيح التوراة والانجيل ليكون القرآن الكريم هو لغة ومنهاج كل مسلم من وقت أبينا الأكبر آدم حتى وقتنا هذا .

صلي الله علي سيدنا عيسى وعلي سيدنا زكريا ويحيا الذين قتلهم بنو إسرائيل في عهد سيدنا عيسى وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى خاتم الأنبياء حبيب الرحمن سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكي السلام.




محمد
صلى الله عليه وسلم

الفصل العاشر

سيدنا محمد

"٢٢ ابريل ٥٧٠ إلى ٨ يونيو ٦٣٢

أَبُو القَاسِم مُحَمَّد بنِ عَبد الله بنِ عَبدِ المُطَّلِب رسول الله إلي الإنس والجن"

إذا كان الله قد ابتلي العديد من الأنبياء والرسل بالمحن في ولادتهم أو طفولتهم أو صباهم أو شبابهم أو كهولتهم أو شيخوختهم مثل سيدنا آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل ولوط ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى، فإن سيد الخلق أجمعين قد وقعت عليه الابتلاءات الشديدة التي كانت كل واحدة منها بكافية ليس على النيل منه صلي الله عليه وسلم ولكن أيضا القضاء علي الإسلام في مهده. ولكن سيدنا محمد صبر واحتمل وابتسم ولم يدعو على من عاداه وقدم المثل والقدوة في الصبر والرحمة والمغفرة.

ومن أشد اللحظات قاطبة علي الرسول بعد البعثة هي فترة المقاطعة في شعاب مكة لمدة ثلاث سنوات والتي قاطع فيها أهل قريش سيدنا محمد والسبعين الذين اتبعوه بالإضافة إلى مقاطعة معظم عائلات بنو هاشم وأبو طالب ومناف لمجرد قرابتهم للرسول. ومرت هذه السنوات العجاف بصعوبة بالغة بعد أن ذاق فيها الرسول والتابعين له الفقر والجوع والعطش وسط الصحراء. ثم جاء الفرج بعد أن رق قلب بعض سادة قريش علي حال الرسول ومن معه وشعروا بأن هذه المقاطعة عار عليهم في العرب.



وما أن انفك الحصار الاقتصادي والاجتماعي حتى توفي عم الرسول أبو طالب والذي كان يدفع عنه أذى عامة أهل قريش. وحزن الرسول حزنا كبيرا على فقد عمه الذي كان يعضده ويشد من أزره ويحميه من بطش قريش. وازداد اذي قريش ليس فقط من قبل سادتها بل وصل الأمر إلى تطاول عامة أهل قريش علي الرسول أينما ظهر في مكة. أذى بالقول والفعل والسب والقاء القاذورات والبصق عليه والرسول صابر رغم الحزن الكبير في قلبه علي جهل قومه.

ولم يمر شهران من وفاة عمه أبي طالب حتى توفت زوجته الحبيبة وقرة عينه وأم أولاده وعضده بكل معني الكلمة معنويا وماديا. توفت السيدة خديجة التي كانت تخفف عنه بالقول والفعل. حينئذ شعر الرسول الكريم بحزن بالغ تمكن من قلبه بعد أن فقد الحبيين عمه وزوجته. شعر بأنه أصبح وحيدا أمام صلف قريش خاصة أن عدد الذين استجابوا له وأسلموا من قريش بعد ١٠ سنوات من الدعوة لم يزد عن المئتين بما فيهم الذين هاجروا إلى الحبشة وبقوا هناك في كنف النجاشي ملك الحبشة الذي أسلم لاحقا.

وسمي هذا العام بعام الحزن بسبب الحزن الشديد الذي شعر به الرسول الكريم. وهنا بدأ الرسول يفكر في الخروج من مكة إلى أي بلد آخر لعل أهلها يستمعوا اليه وينصتوا ويؤمنوا برسالته من الله. وكان قراره الذهاب إلي الطائف والتي كانت أقرب المدن إلى مكة. وبالفعل عزم وتوكل علي الله وقصد الطائف هو وغلامه زيد بن حارثة مشيا على الأقدام. وعندما وصل إلى حدود الطائف توجّه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى الطائف إلى ثلاثة إخوة من بني ثقيف، وهم: عبد يا ليل، ومسعود، وحبيب من بني عمرو، وقد كانت عندهم امرأة من قريش، فجلس إليهم يدعوهم إلى نصرته وإلى الدخول في الإسلام.

وما أن تحدث إليهم واستمعوا إليه حتى أنكروا دعوته بشدة ورفضوا الإيمان برسالته بل انهالوا عليه بالسب هم وأهل الطائف. ووصل الأمر أن رموه بالحجارة على قدميه الشريفتين حتى أدموا قدميه وسال منهما الدم. وظلوا يلاحقونه بغلظة حتى وصل إلى بستانٍ لعُتبة وشيبة ابنَيْ فدخل فيها هو



وغلامه زيد يختفيان من ملاحقة أهل الطائف. وهناك دعا الرسول الكريم ربه دعاء مؤثرا تنخلع له القلوب . ولك أن تتخيل نفسك في هذه الظروف الشديدة الصعوبة وأنت تعلم أنك نبي الله.

ظل الرسول يفكر كيف يدخل مكة مرة أخري بعد أن خرج منها وهم يعلمون بأمره وما حدث في الطائف. أرسل غلامة زيد الي ثلاث رجال ذو شرف علي رأس قومهم لكي يجيروه من بطش قريش. أرسله إلي الأخنس بن شريق فرفض لأنّه من أنصار قريش. ثم إلى سهيل بن عمرو فرفض أيضاً. فقام بإرساله إلى المطعم بن عدي وكانت هي الفرصة الأخيرة. وانتظر الرسول الرد وكله قلق وخوف من الرفض. ولكن كانت الانفراجة الكبري عندما جاءه خبر موافقة المطعم بن عدي على حمايته حتى يدخل مكة معززا مكرما في كنفهم. وبالفعل امر المطعم بن عدي اولاده أن يرتدوا لباس الحرب ليكونوا بجوار الرسول ليأمنوا دخوله مكة وطوافه حول الكعبة حتى يصل إلي بيته. وبالفعل دخل رسول الله مكة في حمايتهم ولم يتعرض له أحد من قريش عندما رأوه في حماية هؤلاء.

هكذا كانت الثلاث عشر سنوات الأولي من البعثة التي قضاها الرسول الحبيب محمد في قريش كلها ابتلاءات من الله ومحن شديدة في كل نواحي الحياة. ابتلاءات شخصية واجتماعية ومادية ودينية وصلت للمقاطعة طيلة ثلاث سنوات والخروج من مكة والعودة إليها في ترقب وخوف وقلق. ورغم أن الله سبحانه وتعالي عرض علي الرسول الكريم أن يخسف بقريش الأرض ويطبق عليهما الجبليين، إلا أنه كان يدعو كل مرة بالهداية لأهل قريش. ولم يدعو إلا على المجموعة التي آذته كثيرا وكانت تلقي عليه القاذورات أمام بيته وهو ساجد حتى ألقوا عليه وهو ساجد لله احشاء البهائم المذبوحة. ولم يزيلها عنه سوي ابنته فاطمة وهي تبكي بكاء حارا من هذه الأفعال الدنيئة. وبالفعل استجاب الله لدعوات رسوله على هؤلاء الشرذمة وقتلوا جميعا في غزوة بدر .

وفي النهاية قرر الرسول الهجرة إلى المدينة المنورة بعد أن قدم له الأنصار الدعم والوعد باستقباله هو وأصحابه وان تكون المدينة مدينتهم وأهلها أهله وأهل أصحابه. وبالفعل هاجر الرسول هو وأصحابه إلى المدينة في



سرية تامة وكان الله حليفهم. وتمثل هجرة الرسول وأصحابه الي المدينة من أهم الهجرات التاريخية التي غيرت تاريخ العالم الحديث وكان لها أثر بالغ في انتشار الإسلام في ربوع المعمورة والانتصار على الروم والفرس وفتح البلاد في الشرق وأهمها مصر وشمال افريقيا ثم الأندلس في الغرب لاحقا.

وصل الرسول المدينة المنورة في عمر الثلاثة والخمسين تقريبا بعد أن قضي ثلاثة عشرة سنة عجاف في الدعوة بين أهل قريش. وقضي الرسول الحبيب حوالي عشرة أعوام أخري في المدينة ليؤسس للدولة الاسلامية بطريقة مؤسسية. ولكن لم تخل هذا السنوات من الدعوة في المدينة من ابتلاءات قاسية. وابتلي الله الرسول وأصحابه بمواقف شديدة الصعوبة كانت كل واحدة منها كافية بالقضاء علي الإسلام لولا توفيق من الله وصبر الرسول وإخلاص الصحابة. فمن ناحية كانت قريش تتربص بالرسول من خارج المدينة وكان اليهود والمنافقين يتربصون بالرسول والمسلمين من الداخل. وظهرت ذروة تأثير هذا التهديد الخارجي والداخلي في غزوة الخندق (الأحزاب) وغزوة أحد وحنين.

لم تنس قريش هزيمتها في بدر رغم قلة عدد وعتاد المسلمين والتي كانت أول احتكاك حقيقي من حيث إعداد جيش المسلمين بخطة محكمة ومواجهة مباشرة مع العدو الكافر. وانتصر المسلمون رغم قلة عددهم بتأييد من الله ولأنهم كانوا علي قلب رجل واحد وأنصتوا وأطاعوا تعليمات الرسول القائد الكريم. ولم تمض شهور من غزوة بدر الكبري حتى أعدت قريش العدة لتنال من الرسول وأصحابه في موقعة "أحد" التي خطط لها الرسول تخطيطا عسكريا فذاً بأن خصص ٥٠ من الرماة فوق جبل أحدٍ وأمرهم ألا يتركوا مكانهم مهما حدث في ارض المعركة. ودارت المعركة بقوة وكان الانتصار السريع للمسلمين علي قريش والتي فرت من أمام الأبطال في السهول ولم يطيقوا سهام الرماة من فوق جبل أحد. ورغم وجود خالد بن الوليد في مقدمة جيش قريش، إلا أنه فر بجنوده أمام الروح العالية للأبطال. ولكن للأسف الشديد لم ينفذ معظم الرماة أوامر الرسول حتى نهاية المعركة فتركوا مواقعهم فوق جبل أحد لينالوا من الغنائم ظنا منهم أن القتال قد انتهي .



وهنا حدثت الثغرة والتي كانت الكارثة الكبري وتحول النصر إلى خسران مبين. فما أن لاحظ خالد بن الوليد بذكائه العسكري ترك الرماة اماكنهم حتى صرخ في جنوده أن يعودوا الي القتال وينقضوا على المسلمين الذين تفرقوا وانشغلوا بالغنائم. وبالفعل هجم خالد علي المسلمين هجمة مباغتة وشرسة فقتل منهم العديد. وكانت فرصة للعبد الحبشي وحشي الذي تصيد الفرصة ويقتل برمحه سيدنا حمزة ويمثل بجسده والذي حزن عليه الرسول حزنا شديدا فقد كان سيدنا حمزة من الأبطال الكبار الذي يحسب له الكفار ألف حساب.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل هجمت جنود قريش علي الرسول الكريم الذي كان بمفرده وأوقعوه في حفرة وضربوه على رأسه حتى سال الدم من وجهه الشريف وكُسرت سنته الأمامية. وحزن الرسول واغتم بما حدث بسبب عدم تنفيذ أوامره وحزن على حال جيشه الذي كان منتصرا منذ قليل. وجري الصحابة نحو الرسول وهو يقاتل بنفسه وتقاتل عنه امرأة وابنها قتالا شديدة حتى أصيبوا بإصابات بالغة. ولم ينجح الكفار في قتل الرسول بفضل الله ودفاع هذه المرأة القوية المخلصة وابنها. فقد كانت بجوار الرسول بألف رجل. إنها نسيبة بنت كعب الأنصارية الخزرجية الملقبة بأم عمارة. وجرحت أم عمارة ١٢ جرحا غائرا وهي تدافع عن الرسول الكريم.

وأقبل الصحابة يحاولون وقف النزيف من وجه الرسول الحبيب محاولين خلع القلنسوة الحديد من على رأسه بصعوبة بالغة حتى استطاع طلحة بن عبيد الله أن يخلعها بأسنانه حتى تكسر معظمها وهو مصمم علي إنقاذ الرسول الكريم. وانتهت المعركة وحزن الرسول حزنا منقطع النظير على خسائر المسلمين وخاصة الشهداء الذين كانوا من الأبطال ومن حفظة القرآن ومن كبار وشباب الصحابة.

وهكذا كانت موقعة أحد من المواقع التي حدثت فيها ابتلاءات شديدة علي الرسول الحبيب، ابتلاء فيه أذى شخصي وسياسي واجتماعي وديني وابتلاء في أصحابه .



كانت نتيجة غزوة أحد مشجعة في الهجوم مرة أخري على المسلمين في المدينة المنورة .خططت قريش وعلي رأسها أبو سفيان في تجييش أكبر عدد معين لقتال المسلمين في عقر دارهم بالمدينة والقضاء عليهم. ولكي يضمنوا ذلك اقنعوا يهود بنو قريظة في نقض المعاهدة المكتوبة مع الرسول بأن يكونوا حلفاء وألا يسمحوا للأعداء بالهجوم على المسلمين من خلالهم خاصة وأن موقع بنو قريضه كان محوريا واستراتيجيا لأنه يحمي المدينة من الجنوب الشرقي.

وبالفعل في العام الخامس من الهجرة وفِي شهر شوال جّيّشَ أبو سفيان ثلاثة آلاف مقاتل من القبائل المختلفة وأصبح ضامنا لبني قريظة بعد أن أعلنوا عن نقض عهدهم ومحاولة قتلهم نساء المسلمين المتحصنون في المدينة بعيدا عن جيش المسلمين الذي كان قد وصل الي ثلاثة آلاف. ولكن للأسف ترك المنافقون الرسول ورجاله وتبعهم آخرون ولم يبق مع الرسول سوي ٣٠٠ نفر من أصحابه ورجاله وهو عدد قليل جدا مقارنة بالجبهة الشمالية من قريش وتعدادها ٣ آلاف وجبهة بني قريظة وتعدادها ٧٠٠ مقاتل بالإضافة الي جبهة المنافقين.

شعر الرسول بتأزم الموقف رغم تنفيذه فكرة الخندق الرائعة التي أشار بها الصحابي سلمان الفارسي. واستمر حصار قريش للمسلمين ٤٥ يوما حاولوا فيها عبور الخندق ولكن كل محاولاتهم باءت بالفشل والحمد لله. وكادت قريش أن تدخل المدينة من خلال بني قريظة ولكن الله سبحانه جعل أحد المشركين يسلم وسط كل هذه المتناقضات لصالح قريش.

وكان هذا الرجل وهو نعيم بن مسعود سببا في تحول القوة لصالح المسلمين بفعل خطته الذكية التي أوقع بها الشك والريبة والخداع بين قريش وبني قريظة. وبالفعل نجحت خطته وفشل الحلف بين قريش وبنو قريظة. وأرسل الله رياحا شديدة هزت الكفار مما جعل أبو سفيان يقرر بعودتهم إلي مكة. وهكذا كفي الله المؤمنين القتال خاصة بعد أن نفذت مؤونتهم واشتد عليهم البرد والخوف وبلغت قلوبهم الحناجر من هول الموقف. ورغم ظهور العديد من المعجزات للرسول الحبيب أثناء حفر الخندق وأثناء



الحصار الا أن المسلمين كانوا قلة قليلة ومن غير زاد ولا عتاد يضاهي ما عند قريش. ولكن كانوا صابرين وظلوا بجوار الرسول حتى آخر لحظة .

وبعد أيام طويلة من الحصار والظروف الجوية الشديدة الصعوبة من البرد والظلمة الحالكة والبرد القارص وقلة الموارد وانفتاح الجبهات، حدثت المعجزة الالهية وهبت الرياح الشديدة. فما كان من أبو سفيان إلا أن أمر جيشه بالرحيل أمام هذه الرياح الشديدة وأمام شكه في دعم بني قريظة.

وبالفعل رحلت قريش ورجع الرسول بالثلاثمائة رجل إلى المدينة بعد معاناة طويلة. وواجه بني قريظة بما فعلوا من خيانة عسكرية واعتدائهم على حصن النساء. وكان العقاب شديدا لبني قريظة جزاء بما أقدموا عليه من خيانة عسكرية ونقض العهد المكتوب. واستتب الأمر في المدينة وظهر بوضوح من هم أهل الايمان ومن هم أهل النفاق .

ومرت السنوات حتى السنة الثامنة بعد الهجرة والتي فتح فيها الرسول مكة بفضل الله. وفتح المسلمون مكة وهو الحدث الكبير الذي هز أركان مكة وجعل الكعبة خالية من الأصنام وكبر المسلمون ودانت لهم الأرض وعادوا الي ديارهم التي تركوها من ٨ سنوات مهجرين والآن رجعوا وهم فائزون. ورغم دخول معظم أهل قريش والقبائل المجاورة لمكة الإسلام إلا أن قبيلتي هوازن وثقيف بقيادة مالك بن عوف النّصري من قبيلة هوازن المجاورة لمكة بمنطقة الطائف قد أجمعت أمرها وجيشت الجيوش لمحاربة الرسول ومحاولة القضاء على هذا الفتح المبين. وبالفعل استطاعوا في وقت قليل أن يجمعوا ٢٠ ألف مقاتل متمرس وكان عدد مقاتلي المسلمين مع الرسول بعد الفتح حوالي أكثر من ١٠ ألف مقاتل منهم أكثر من ألف مقاتل من الطلقاء من أهل قريش الذين أطلقهم الرسول بعد الفتح ومنهم الذين أسلموا ومنهم من بقي على كفره حتى ينظر الرسول في أمره بعد مرور أربعة أشهر.

وزحف جيش الرسول حتى ارتكز على مرتفعات حول وادي يطلق عليه حُنين. وشعر الجيش بالقوة والعتاد والعدد حتى تفاخروا فيما بينهم بأنهم لن يُهزموا بعد اليوم. وكان في المقدمة خالد بن الوليد والذي كان قد أسلم.



وعند هبوط خالد بأول فرقة من جنوده من على منحدر المرتفعات بحرص شديد ناحية الوادي فوجئ بكمين ينهال عليه من كل جانب من جنود مالك بن عوف النّصري. ولأن المنحدر كان شديدا لم يسمح للجنود بالتحكم في أنفسهم وخيولهم اثناء الهبوط. وكانت هذه الخطة المباغتة لم يستطع الجنود الرد على الكمين وحدث هرج ومرج وقتل عدد كبير من فرقة خالد الأولي والثانية حتى أصيب خالد نفسه بطعنات شديدة وجراح في كل جسده .

وفي هذه الموقعة فر كل جيش المسلمين ناحية مكة ولم يبق حول الرسول سوي العدد القليل من المقاتلين. ولكن ظل الرسول يقاتل بنفسه ومع هؤلاء الصحابة وهو ينادي بأعلى صوته في الناس أن يعودوا حتى رأي العباس بن عبد المطلب قادم عليه فطلب منه الرسول أن ينادي في القوم الفارين ليعودوا حيث كان العباس يتمتع بصوت جهوري وقوي.

وبالفعل بدأ الكثير منهم يعود بعد أن علموا بأن الرسول حي ولم يناله أذى. وظهرت المعجزات أمام الجميع وأمام جيش هوازن أنفسهم فكانت تلك المعجزات سببا في فرارهم أمام هذا العدد البسيط من جنود الرسول. فقد أظهر المئة مقاتل بطولات فيها إعجاز فقد كانوا يقتلون في الأعداء كما يشاءون ويحصدونهم حصدا. وكانت تلك معجزة بكل المقاييس أن يحارب عدد قليل من المقاتلين جيش تعداده ٢٠ ألف مقاتل ويقتلون منهم الألاف.

وكانت المعجزة الثانية نزول الملائكة لتحارب مع هؤلاء القلة حتى يعود من فر. ونزلت الملائكة وتهيأت لجنود الأعداء كجيش هائل ليس له أول ولا آخر. ولذلك لم تلحق الملائكة أن تحارب فمجرد أن رآهم جيش الأعداء في هيئة في هذه العدة والعتاد حتى فروا من أرض المعركة ناحية الطائف ولاحقهم جيش المسلمين حيث كان قد عاد معظمهم وانضموا إلي الرسول وأصحابه.

وهكذا كانت معركة حُنين كلها ابتلاءات للرسول على مستوي إيذائه شخصيا وعلى مستوي أصحابه وعلى المستوي السياسي وكان هناك تهديدا كبير للقضاء علي الاسلام بعد أن تم فتح مكة وظهور المسلمين ظهورا قويا



وعادلا ومنصفا ودخول معظم أهل قريش في الاسلام. كان الموقف والتوقيت عصيبا والأحداث مخيفة علي الإسلام ولكن رحمة الله وثبات ودعاء الرسول واستجابة الله بالعون والمدد كانت الأقوى وانتهت بالانتصار الكبير .

وتؤكد نتائج الأربعة غزوات وهي بدر وأحد والأحزاب (الخندق) وحُنين أن العبرة ليست بالقوة ولكن بالنية والإخلاص وذلك علي النحو التالي:

- غزوة بدر كان المسلمون فيها فئة قليلة وكفار قريش الغلبة، وانتصر المسلمون بفضل نياتهم وإخلاصهم وهبوط الملائكة تحارب مع المسلمين.
- والعكس تماما في أحد والتي كانت فيها الغلبة في العدة والعتاد للمسلمين وتفوقوا في بداية المعركة ثم حدثت الثغرة وتفوق كفار قريش فقط بسبب تغيب اتجاه النية ولو مؤقتا في التكالب على المغانم .
- ثم انعكس الأمر في غزوة الأحزاب (الخندق) والتي كان فيها التفوق لكفار قريش والمسلمين فئة قليلة. ولكن النية والإخلاص جعلت نهاية الغزوة لصالح المسلمين بدون أي خسائر بفضل النية والإخلاص وفضل الرياح التي أرسلها الله لتفض الحصار الذي استمر ٤٥ يوما .
- ثم في غزوة حنين حدث التوازن في العدة والعتاد بين جيش السلمين وجيش هوازن وبسبب الغرور وعدم الالتزام تقهقر المسلمون ثم حدثت المعجزة وعادوا بقوة عندما لملموا أنفسهم وعزموا وتوكلوا وأخلصوا فكان النصر القوي بفضل النية والإخلاص ودعم من الله بإرساله جيش من ملائكة أخاف الأعداء .

فلا يغر المسلم قوة العدو وتفوقه في العدة العتاد طالما أنه مع الله بالنية والعمل المخلص. وهنا تحدث المعجزات والمفاجئات التي لا يتوقعها أحد فينبهر بالنتائج التي تأتي علي عكس المعطيات. فسبحان العاطي طالما



السائل متوكلا. فلم يقل الله أعدوا لهم ما تتفوقون به عليهم، ولكن قال سبحانه وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة. فما علينا إلا أن نتوكل علي الله بالمتاح وبالنية المخلصة والعمل الدءوب وترك النتائج لله فهو مدبر الأمور من قبل ومن بعد. وعلينا ألا نخاف وألا نهن وأن نثق في الله وأن كلمته هي العليا في كل زمان ومكان .

وبالإضافة إلى كل هذه المواقف الصعبة قبل الهجرة وبعد الهجرة وبعد العودة الي مكة وفتحها، هناك أيضا مواقف شديدة كانت ابتلاء من نوع خاص للرسول في أكثر قلب أحبه وهي السيدة عائشة رضي الله عنها وهي ما هي الصديقة بنت الصديق أبو بكر رضي الله عنه. وكان هذا الموقف هو حادثة الافك التي كان وراءها رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول في السنة السادسة من الهجرة. وهذه القصة معروفة لكل مسلم وذكرها يؤذي كل مسلم وكل صاحب مروءة وشهامة وأخلاق وكل عربي أصيل للإساءة التي نالت من سمعة السيدة عائشة زوجة الرسول الكريم وهي من أشرف النساء وأطهرهن .

وقد تسبب هذا التشهير بالسيدة عائشة بأذى بالغ للرسول الحبيب لدرجة أنه قاطعها لمدة شهر وهي أحب النساء إلي قلبه وابنة صديقه وخليله سيدنا أبو بكر الصديق. واستمرت المقاطعة حتى زارها الرسول عندما مرضت بسبب ما ألم بها نفسيا وجسديا بعد أن علمت بالإشاعة بعد أيام من إطلاقها بين الناس في المدينة. تعجبت كيف للناس أن يصدقوا اتهام عبد الله ابن أبي بن سلول في شرفها مع صفوان بن المعطل وهو أحد أصحاب الرسول والمعروف هو الآخر بعفته. وأشد ما أذاها نفسيا هو موقف الرسول ومقاطعته لها واحتمالية تصديقه لهذه الإشاعة المغرضة .

وتعود هذه الإشاعة إلى وقت عودة الرسول ومعه جيش المسلمين من غزوة بني المصطلق والتي صاحبت فيها السيدة عائشة الرسول بعد أن وقع سهم الاقتراع عليها لاختيار إحدى زوجات الرسول لترافقه في الغزوة وهو الأسلوب المتبع في ذلك الوقت. وأثناء العودة من الغزوة أمر الرسول الجيش بالاستراحة لقضاء الحاجة والراحة لبعض الوقت. وعندما أمر الرسول باستئناف السير عادت السيدة عائشة لتركب هودجها كباقي السيدات



لتلحق بالقافلة. ولكنها اكتشفت فقدان عقدها فظنت بأنها نسيته في المكان الذي كان فيه قضاء الحاجة. ذهبت لتحضره ولكن للأسف عند عودتها لم تجد القافلة فقد رحلوا ولَم يتلمس أحد عدم وجودها بسبب الهودج والحجاب وغض النظر عن النساء .

وهنا حزنت السيدة عائشة ولَم تدر ماذا تفعل. ولكنها قررت أن تبقي كما هي حتى لا تضل طريقها ويعود أحدهم ويأخذها. وبالفعل وجدها الصحابي صفوان الذي كانت مهمته تفقد المنسي من القافلة بعد رحيلها مثل المتاع وأدوات الحرب أو بعض المفقودين. ولما وجدها عرفها لأنه كان قد رآها قبل الحجاب. وهنا غض بصره وأناخ الجمل حتى ركبت هودجها ثم اتجه سيرًا بالجمل ناحية جيش المسلمين حتى وصل إليهم وكان الليل قد حل على الجميع. وهنا صاح المنافق عبد الله بن سلول بأنه قد حدث شيئا بين السيدة عائشة وصفوان. ونشر هذا الخبر ولَم تعلم به السيدة عائشة في حينه لأنها تعاملت مع الموقف ببساطة وعفوية .

ولما انتشرت الإشاعة في المدينة وعلم الرسول حزن حزنا شديدا لم يشعر به من قبل بسبب نوعية الابتلاء وبسبب حبه الشديد لعائشة وبسبب انها زوجته وهو رسول الله. وهنا قرر الرسول أن يجتنب السيدة عائشة حتى يقضي الله شيئا كان مقدورا. وبعد شهر من مقاطعته لها، زار الرسول الكريم السيدة عائشة في بيتها عند أبويها ليطمئن عليها بسبب المرض الذي ألم بها من جراء هذا التشهير اللعين الذي ظلمها ظلما بينا. تحدث الرسول اليها وطلب منها أن تتوب إذا كان هناك شيء ما أو سيبرئها الله. وهنا اغتمت جدا السيدة عائشة بسبب احتمالية تصديق الرسول الاشاعة فردت علي الرسول ردا لينا ولكنه معبر عن حالة الظلم التي تشعر بها فدعت كما دعي سيدنا يعقوب عندما شعر بخيانة أولاده ليوسف عندما فقال "فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون" ثم خبأت نفسها في ردائها وانخرطت في البكاء حزنا على نفسها .

ولم تمض دقائق والجميع مازالوا في بيتها حتى نزل الوحي على سيدنا محمد أمام السيدة عائشة وسيدنا أبوبكر الصديق وأمها. وهنا صاح الرسول فرحا أبشري يا عائشة فقد برأك الله. وكانت لحظة تاريخية شرحت صدر الجميع



وازاح الله الغمة وكشفها بعد مرور شهر عصيب وفضح الله المنافقين أمام جموع المسلمين. وكانت حادثة الافك هذه من أشد الأزمات النفسية والابتلاءات التي أبتلي بها الرسول في أعز من يحب.

وهكذا نري أن الرسول الكريم رغم حب الله له فوق حب كل العالمين إلا أنه كان أشد المبتلين منذ مولده حتى لقي وجه ربه الكريم. وترك رسولنا الحبيب أسوة ومثال نحتذي به وقت الشدائد. فمهما ابتلينا فلن يصل الابتلاء قيد أنملة من ابتلاءات الرسول ومهما صبرنا فلن يصل صبرنا قيد أنملة من صبر الرسول. ولم يطلب الرسول جاها ولا سلطانا ولا مالا ولا حسبا ولا نسبا ولكن طلب الهداية والعفو لأمته. ولم يطلب العقاب لمن ظلموه ولكن طلب لهم الهداية. ولم يطلب البقاء والخلود في الدنيا بل طلب وجه الله بعد أن أدي رسالته.

اللهم صلي وسلم وبارك علي سيد الخلق أجمعين وأكرم المرسلين سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.



نبذة عن الكاتب

ولد د. محمد لبيب سالم في ٢٨ ديسمبر ١٩٦٢ في قرية دهتورة مركز زفتي محافظة الغربية في وسط الدلتا بمصر.
حصل د. لبيب علي بكالوريوس العلوم عام ١٩٨٤، وماجستير العلوم في ١٩٨٩، والدكتوراه في ١٩٩٥ من خلال بعثة إلى جامعة كيوشو باليابان. د. لبيب أستاذ علم المناعة بكلية العلوم ومدير مركز التميز لأبحاث السرطان والمدير السابق لمركز المشروعات والابتكارات ونقل التكنولوجيا بجامعة طنطا والمشرف على مركز تنمية إقليم الدلتا التابع لأكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا ورئيس مجلس ادارة الجمعية المصرية لأبحاث السرطان وعدو مجلس إدارة مدينة زويل للعلوم والتكنولوجيا والمستشار العلمي لجامعة الجلالة والمستشار العلمي لمراكز تنمية الإقليم التابعة لأكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا.

نشر د. لبيب ١١ أعمال أدبية من ٢٠١٤ حتى الآن عبارة عن ٤ روايات وأربع مجموعات قصصية وثلاث كتب علمية وله أكثر ١٥٠ مقال في تبسيط العلوم تم نشرها في العديد من المواقع والجرائد والمجلات المصرية والعربية. كما يلقي د. لبيب محاضرات عامة في الجامعات والمدارس والجمعيات الأهلية عن الأدب والعلم وتبسيط العلوم والإعجاز العلمي في البيولوجيا عامة والجهاز المناعي خاصة. كما أن له قناة على اليوتيوب يقدم فيها محاضراته. وحاليا تم اختيار د. لبيب مقررا لمجلس الثقافة والمعرفة بأكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا.

حصل د. لبيب علي جائزة عبادة الدولية في العلوم وجائزة خليفة التربوية في التعليم الجامعي للأستاذ الجامعي المتميز علي مستوي الوطن العربي لعام ٢٠٢٠ جائزة جامعة طنطا للتميز العلمي ٢٠٢٠ وعلي وسام العلوم والفنون من الطبقة الاولي من السيد رئيس الجمهورية في ٢٠١٩ وجائزة الدولة التقديرية لعام ٢٠١٨ وجائزة الدولة للتفوق لعام ٢٠٠٩ وجائزة الدولة التشجيعية لعام ٢٠٠٣ وجائزة جامعة طنطا التقديرية لعام ٢٠١٥.

e-mail: mohamedlabibsalem@yahoo.com



الأعمال المنشورة للكاتب

- وقت للبيع: د. محمد لبيب سالم رواية عن دار أطلس للنشر والتوزيع ٢٠١٤.
- العشق الحلال: د. محمد لبيب سالم مجموعة قصصية عن دار أطلس للنشر والتوزيع ٢٠١٥
- زحمة مشاعر: د. محمد لبيب سالم مجموعة قصصية عن دار أطلس للنشر والتوزيع ٢٠١٦
- كانڈليه: د. محمد لبيب سالم رواية عن دار أطلس للنشر والتوزيع ٢٠١٧
- الرصاصة الجينية: د. محمد لبيب سالم رواية – الناشر: دار النابغة –مصر ٢٠١٩
- زواج بويضة: د. محمد عبد الحميد شاهين - د. محمد لبيب سالم كتاب علمي ضمن سلسلة المكتبة العلمية -كتب علمية مبسطة. الناشر: أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا -مصر - ٢٠١٩
- سفاري إلى الجهاز المناعي: د. محمد لبيب سالم رواية علمية ضمن سلسلة المكتبة العلمية -كتب علمية مبسطة. الناشر: أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا -مصر - ٢٠١٨
- مشاعر آيلة للسقوط: د. محمد لبيب سالم مجموعة قصصية الناشر -دار كيانك- مصر ٢٠٢١
- سور الخوف العظيم: د. محمد لبيب سالم مجموعة قصصية الناشر -دار كيانك- مصر ٢٠٢١
- تأملات في حياة القطط وحكايتي مع صديقي القط. -دار كيانك- مصر ٢٠٢١
- تأملات في حياة الأنبياء: الأنبياء والابتلاءات. -دار كيانك- مصر ٢٠٢١
- تأملات في فيروس كورونا. -دار كيانك- مصر ٢٠٢١

كتب تحت الطبع

- بطل من بلدي: رواية
- علم المناعة والأمصال والتطبيقات
- تأملات في بيولوجيا الخلية
- تأملات في الجهاز المناعي: تبسيط العلوم
- تأملات في بيولوجيا النفس
- من ذكريات المدن من ادب الرحلات والسيرة الذاتية
- العلاج المناعي للأورام



كلمة الغلاف



لم يخل أحد من عباد الله في مرحلة ما في حياته من ابتلاء صغُر أو كبُر، سواء في ماله أو أهله أو صحته. فمن أشد المواقف صعوبة على النفس وقوعها تحت ضغط نفسي شديد. وكثيرا ما يشتكي الإنسان العادي من الضغوط النفسية التي تهز كيانه وتجعله أحيانا يترنح بسبب بعض ما أصابه من ضغط نفسي على المستوي الشخصي أو بالأكثر على المستوي العائلي المحيط .والقدرة على تحمل الابتلاء هي ترمومتر الإيمان بالله. والابتلاء قد يكون من الله ليختبر عبده الذي يحبه أو من خلال الشيطان الذي يكرهه بسبب حب العبد لله.

وفي كلا الحالتين يكون انتصار العبد علي محنة الابتلاء هي المنحة الكبري من الله سبحانه وتعالي. وكلما كانت المحنة أشد كلما كانت المنحة أكبر وأعظم. وسوف نري في هذا الكتاب أن الأنبياء هم أكثر عباد الله عرضة للابتلاءات. وسوف نري كيف أنهم صبروا عليها حتى انكشفت الغمة وظهر حكم الله وانتشرت رسالته في الأرض وعلت كلمته في السماء. وسوف نري أن لهدف من ابتلاء الأنبياء - وهم أحب وأقرب العباد إلي الله – هو تقديم البرهان للشيطان أن العبد يخلص في عبادة وحب الله في وقت الشدة قبل وقت الرخاء. وهكذا كان الغرض من كل الابتلاءات للأنبياء عليهم السلام وهو تقديم المثل لعامة الناس.

المؤلف

د. محمد لبيب



الفهرس

a





ⵙ اترك لي انطباعك، وما هو رأيك؟

توقيع/





الأنبيـــــاء والابتلاءات

من أشد المواقف صعوبة على النفس وقوعها تحت ضغط نفسي شديد بسبب ابتلاء ما صغُر أو كَبُر. وعادة ما يشتكي أهل الابتلاء من اعتباره نوعاً من العقاب. ولذلك فالقدرة على تحمل الابتلاء هي ترمومتر الإيمان بالله، فانتصار العبد علي محنة الابتلاء هي المنحة الكبري من الله. وكلما كانت المحنة أشد كلما كانت المنحة أكبر وأعظم.

وبقلم رجل فكر, حاولت في هذا الكتاب وبرؤية شخصية التأمل في الابتلاءات التي حدثت في حياة بعض الأنبياء، وكيف أنهم "عليهم السلام" صبروا عليها حتى انكشفت الغُمة. وسوف نري أن الهدف من ابتلاء الأنبياء – وهم أحب وأقرب العباد إلي الله – هو تقديم القدوة في اخلاص العبد لله في الشدة قبل الرخاء. ففي رحم كل ابتلاء جنين للرخاء.



د. محمد لبيب سالم

كاتب وروائي وعضو اتحاد كتاب مصر صدرت له مجموعة من الروايات والمجموعات القصصية وكانت رواية وقت للبيع أول عمل في ٢٠١٤. وآخر رواية الرصاصة الجينة وآخر مجموعة قصصية مشاعر آيلة للسقوط.

د. لبيب استاذ علم المناعة بكلية العلوم جامعة طنطا

